حوار كوني 3.5

النشرة الإخبارية

International Sociological Association

أربعون سنة بعد الانقلاب في الشيلي:
حوار مع مانوال أنتونيو غاريتون

العالم الاجتماعي التاريخي

أيام حزيران في البرازيل

علم الاجتماع بوصفه نذرا
ضدا عن كل أنواع التفاوت

GD
المجلد 3.5 / العدد 4 / كانون الأول (ديسمبر) 2013
www.isa-sociology.org/global-dialogue

الافتتاحية

تعاون جنوب - جنوب

بمجرد ما يعبر المرء أمريكا اللاتينية مسافرا، يكتشف تنوعّها. في هذا العدد تشير جوليانا فرانزوني (Juliana Franzoni) وديبغو سانشيز أنكوشيا (Diego Sánchez-Ancochea) إلى الانعطافة التي لفّت كل القارة نضالا ضد اللامساواة. على أن الاختلافات لا تزال شديدة حتى في هذا المجال. ذلك أن الشيلي والأوروغواي توجدان على طرفي الطيف متقابلين بين النيوليبرالية والديمقراطية الاجتماعية. عندما يتعلق الأمر بالقضايا الاجتماعية يقبع البلد الأول في العصور المظلمة في حين يتصدّر الثاني الطليعة في مجال التشريعات الليبرالية التي تتعلق بالمخدرات وحقوق المثليين والإجهاض. أدمجت الأوروغواي أهاليها الأصليين وهي الآن من الناحية العرقية والإثنية أكثر تجانسا بكثير من البيرو مثلا. فلئن كان التوباماروس (Tupamaros) في الأوروغواي قد انضمّوا إلى التحالف اليساري الحاكم فإن حركة مجموعات الغوار المسلحة لا تزال تشن حربا خارجة عن النطاق البرلماني. والحقيقة أن كولومبيا مفارقة حيّة قوامها ديمقراطية مديدة الرسوخ ممزوجة بعنف لم يسوَّ بحيث تستغل دوجيستوسيا (Dejusticia)، وهي منظمة محامين وعلماء اجتماعيين مرموقين، دستور كولومبيا الليبرالي في الدفاع عن الأهالي الأصليين وباقي الجماعات ضد العنف.

على الرغم من الاختلافات ابتدع العلماء الاجتماعيون الأمريكان اللاتين أساليب للتعاون القاري. وعليه فإن عالم الاجتماع الشيلي مانوال أنتونيو غاريتون (Manuel Antonio

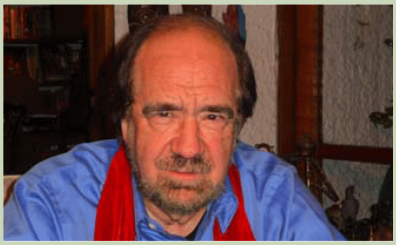

***Manuel Antonio Garretón**, leading analyst of Latin America, reflects on the fate of sociology under the Chilean dictatorship and the mistaken political program that contributed to the fall of Allende 40 years ago.*

***Elizabeth Jelin,** distinguished Argentinian sociologist, looks back on her varied career that connected local engagements to global conversations about justice and equality.*

***Immanuel Wallerstein,** former President of the ISA (1994-98), winner of the first ISA Award for Excellence in Research and Practice, describes how his path-breaking world-systems analysis led him to see the limitations of disciplinary thinking.*

Garretón) يلحّ على الأهمية التاريخية للتبادل الأكاديمي والثقافي فيما بين البلدان أمريكا اللاتينية حتى زمن الدكتاتورية. ها هنا يكون الحوار جنوب- جنوب أكثر من طموح لتطوير علم الاجتماع في الجنوب، من الجنوب، وإلى الجنوب. ذاك الحوار حقيقةٌ على الرغم من أن كثافته قد تجعل الحوار خارجه أكثر عسرا. تصف إيليانا كايموفيتز (Eliana Kaimowitz) المصاعب التي كابدتها دوجيستوسيا لدى تنظيمها ورشة للمدافعين الشبان عن حقوق الإنسان من كل أرجاء الجنوب الكوني. تمثّل المشكل الأوّل في وصول المشاركين إلى كولومبيا حيث تمرّ أغلب مسارات السفر من بلدان شمالية وهو ما يتطلب تأشيرات مرور كان الحصول عليها عسيرا زيادة على عسر الحصول على التأشيرة الكولومبية ذاتها. وللمفارقة فأنا مثلا وباعتباري من الشمال الكوني لا أحتاج إلى أية تأشيرة إلى كولومبيا. فضلا عن ذلك لم تكن الورشة لتقام لولا التمويل السخي الذي بذلته مؤسسة فورد (Ford Foundation). من المعتاد أن تصرف موارد شمالية لتطوير البحث في الجنوب كما هو الحال في دراسة شينغ كوان لي (Ching Kwan Lee) عن الحضور الصيني في أفريقيا ودراسة هيلين سامبسون (Helen Sampson) عن البحارة المهاجرين والنقل البحري الدولي أو دراسة غي ستاندينغ (Guy Standing) حول منح الدخل الأساس في الهند. وليس من المفاجئ، والحال هذه، أن تتحول الجامعات الشمالية إلى مغناطيس جاذب لذوي المواهب الجنوبيين.

وهب المساهمان الإثنان في هذا العدد في ركن "علم الاجتماع بوصفه نذرا"، إليزابث جيلين (Elizabeth Jelin) وإيمانويل والرشتاين (Immanuel Wallerstein) نفسيهما لتطوير الحوارات جنوب- جنوب كما الحوارات شمال- جنوب. وبما أن علماء اجتماع الشمال مهيمنون بصفة جلية، والبعض منهم أكثر حساسية تجاه مظاهر التفاوت الكوني من آخرين، فإن الجنوب مسيطر عليه هو ذاته بحيث لا تقدر إلا أقلية منه على بلوغ ما وراء الحدود فيما تظل الغالبية مغمورة في المحلي. وإذا كانت مظاهر التفاوت الكوني تحدّ من التعاون جنوب- جنوب فإن موارد أخرى، ليست الوسائط الاجتماعية أقلّها، تصير ذات ضرورة ملحة في وصل الحركات الاجتماعية، التي يُستكشف منها في هذا العدد ما يجري في البرازيل ومصر وتركيا، وهو ما تفعل مثله مع علماء الاجتماع أرضيات كهذه التي تمثلها نشريتنا *حوار كوني*.

يمكن الاطّلاع على *حوار كوني* في ١٥ لغة على موقع الجمعية الدولية لعلم الاجتماع **ISA website.**
وترسل المساهمات إلى العنوان التالي **burawoy@berkeley.edu.**

*في هذا العدد

الافتتاحية: حوار جنوب- جنوب ٢

أربعون سنة بعد الانقلاب
حوار مع مانوال أنتونيو غاريتون، الشيلي ٥

علم الاجتماع بوصفه نذرا ضدا عن كل مظاهر التفاوت
بقلم إلزابث جيلين، الأرجنتين ١٠

العالم الاجتماعي التاريخي
بقلم إيمانويل والرشتاين، الولايات المتحدة ١٢

* الاحتجاج يتواصل

البرازيل
ايام حزيران
بقلم روي براغا وريكاردو أنتيونس ١٤

مصر
حدود "الإصلا- ثورة"
بقلم عاصف بيات، الولايات المتحدة الأمريكية ١٦

الشارع ضد الدولة
بقلم محمد بامية، الولايات المتحدة ١٩

تركيا
من الشتيمة إلى الثورة
بقلم بولات أليمان، تركيا ٢١

فن المقاومة
بقلم زينب بايكال ونزيهة باشاك إيرجين، تركيا ٢٣

* التفاوت

تجربة هندية عظيمة
بقلم غي ستاندينغ، المملكة المتحدة ٢٦

ملاحقة التفاوت في أمريكا اللاتينية
بقلم جولينا مارتيناز فرانزوني، كوستا ريكا،
وديبغو سانشيز أنكوشيا، المملكة المتحدة ٣٠

* ملاحظات ميدانية

الصين في أفريقيا
بقلم شينغ كوان لين زامبيا ٣٢

مكابدة الأمواج
بقلم هيلين ساميسون، المملكة المتحدة ٣٥

بويرتو ريكو: جزيرة مذابح؟
بقلم جورج ل. جيوفانيتي، بويرتو ريكو ٣٧

* في العلوم الاجتماعية الوطنية وما عداها

الحواجز الحقيقية في وجه الحوار جنوب-جنوب
بقلم إيلينا كابموبتز، كلومبيا ٣٩

تطور علم الاجتماع في البانيا
بقلم ليكي سوكولين ألبانيا ٤١

علم الاجتماع في زمن الاضطراب
بقلم عائشة إيديل آيارز، تركيا ٤٤

آكاديميون شبان و آخرون قدامي يلتقون في يوكوهاما
بقلم ماري شيبا، كيوتو تومينغا، كابسوكي موري ونوري فوكوين اليابان ٤٦

فريق حوار كوني الإسباني في كولومبيا
بقلم ماريا خوسي ريفادولا، سيباستيان سانتاماريان،
أندريس آروخو وكاترين غايتان سانتامارياكولومبيا ٤٨

*طاقم التحرير:

رئيس التحرير: مايكل بورووای

محرران متصرفان: لولا بوسوتيل، أغوستو باغا

محررون مشاركون: مارغات أبراهام، تينا إيوس، راكال سوزا،جينيفر بلات، روبرت فان كريكن.

مستشارو تحرير: إيزابيلا بارلينسكا، لويس شوفال، ديك سيندوغولو، توم دوير، يان فريتز، ساري حنفي، جام خيمنيز، حبيب الله خندكر، سيمون مابادیمنغ، إيشوار مودي، نيكيتا بوكروفسكي، إيما بوريو، يوشيميشي ساتو، فينيتا سينها، بنيامين تجيرينا، شين شون يي، إيلينا زدرافوميسلوفا.

محررون جهويون:

العالم العربي: ساري حنفي، منير السعيداني،ريما الراسي.

البرازيل: غوستافو تانيغوتي، جوليانا تونشي، بيدرو مانشيني، آندريزا غالي، ريناتا باريتو بيرتورليان، آنجيلو مارتنس جونيور، لوكاس آمارال ، سيليا آرريباس.

كولومبيا: ماري خوسي ألفاراث ريفادولا، سيباستيان فيلاميزار سانتماريا، أندريس كاسترو آروووخو، كاترين غايتان سانتامرايا.

الهند: إيشوار مودي، راجيف غوبتا، راشمي جين، أوداي سينغ.

إيران: ريحانة جافادي، نجمة طاهري، حميد رضا رأفت نجاد، ساغار بوزورغي، ، فائزة خازيهزادة، شهراد ساهفاند، تارا أشغري لاله.

اليابان: كازهيسا نيشيهارا، ماري شيبا، كوسوكي هيمونو، تاكامي، يوتاكا إيوادات، كازوهيرو إيكيدا، يو فوكودا، ميشيكو سامبي، تاكاكو ساتو، شوهي ناكا، يوتاكا مايدا،توموبوكي إيدي، يوكو هوتا، توموهيرو تاكامي.

بولونيا:ميكولاي ميزيويسكي، كارولينا ميكولاويسكا، ياكوب روزنباوم، كريستوف غوبانسكي، إيميليا هودزينكا، جوليا ليغات، آدام موللر، توماس بياتاك، آنا بيكوتويسكا، آنا رزيزنيك، كونراد سياماسكو، جوستينا ويتويسكا، صوفيا ووادارسيك، باتريسيا بندراكووسكا.

رومانيا: كوزيما روغينيس، إيلينا سينزيانا سوردو، مونيكا ألكسندرو، تليغدي بالاس، ماريان ميخاي بوغدان، آدريانا بوندور، رومانا كانتراجيو، ماريام سيهودايرو، آلكساندرا دوتو، كاتالينا غولي، آنجليكا هيلينا مارينيسكو، مونيكا نادراغ، لوسيان روتاريو، كوزيما ريوغينيس، آلينا ستان، مارا يتان، إيلينا تودور، كريستيان كونستونتان فيريس.

روسيا: إيلينا زدرافوميسلوفا، آنا كادنيكوفا، إيلينا نيكفوروفا، آسيا فورونكوفا، إيكاتارينا موسكاليفا، جوليا مارتينافيشين، إيليونورا بورتيسيفا

تايوان: جينغ ماو هو.

تركيا: آيتل كاسابوغولو، نيلاي شابوك كايا، غونور إيرتونغ، يونكا أوداباش، زينب بايكال، جيزم غونار.

أكرانيا: زفيتلانا خوتكان أولغا كوزوفكينا، بولينا بايتسيم، ماريا دوماتشينكو، غيرنا كليافتسوفا، داريا كوروتكيه، ماريا كوتوس، ليديا كوزمسكا، آناستازيا ليبينسكا، يوليا بريماك، ميرولسلافا رومانشوك، إيرينا شوستاك، كسينيا شفيتز، ليودميلا سمولیار، أورينا ستيتسنكو، بولينا ستونوسكو، ماريا فوروتيلينا.

مستشاروان إعلاميان: آني لين، خوسي ريغويرا.

مساعد تحرير: آبيغيل أندروز.

أربعون سنة بعد الانقلاب في الشيلي:

حوار مع مانوال أنتونيو غاريتون

الجزء الأوّل: علم الاجتماع في ظل الدكتاتورية

مانوال أنتونيو غاريتون *(Manuel Antonio Garretón)* واحد من أشهر علماء الاجتماع في أمريكا اللاتينية. تخرّج من الجامعة الكاثوليكية في الشيلي وحصل على درجة الدكتوراه من المعهد العالي للعلوم الاجتماعية (*École des Hautes Études en Science Sociales*) في باريس. اضطلع بإدارة العديد من المؤسسات الأكاديمية ودرّس في جامعات وطنية وأجنبية كما كان مستشارا للعديد من المنظمات الوطنية والدولية العمومية والخاصة. نادرة هي الأشياء التي لم تشملها دراساته ولكن بعدسات سياسية ونظرية. كتب العديد من الكتب حول الأنظمة الاستبدادية والحركات الاجتماعية وسياسات الانتقال وكذا حال العلم الاجتماعي في أمريكا اللاتينية. هو الآن أستاذ علم الاجتماع في جامعة الشيلي وقد احتل مؤخرا كرسي سيمون بوليفار (*Simón Bolívar*) للدراسات الأمريكية اللاتينية في جامعة كامبريدج بالمملكة المتحدة كما كان رئيسا للجنة البحث حول الطبقات والحركات الاجتماعية (ل ب ٤٧) التابعة للج دو ع اج خلال السنوات ١٩٩٨-٢٠٠٠. حصل سنة ٢٠٠٧ على الجائزة الوطنية الشيلية للعلوم الاجتماعية والإنسانيات. تمت هذه المقابلة في سانتياغو يوم ٢٧ جويلية-يوليو ٢٠١٣.

مايكل بورواي (م ب): *مانوال أنتونيو، مررت خلال الخمسين سنة الماضية بالبعض من أرقى لحظات تاريخ العالم كما الأقل شأنا منها. في أبكار سني حياتك كنت رئيسا لفيدرالية الطلبة في جامعة سانتياغو الكاثوليكية ، ثم، وفي سنة ١٩٦٧ سافرت إلى باريس لتتلمذ على يدي آلان توران (*Alain Touraine*)، هناك صادفتك هوجة ١٩٦٨. سنة ١٩٧٠ عدت إلى الشيلي لتكتشف حركة جيّاشة حملت سلفادور أليندي (* Salvador Allende *) إلى الحكم. ولكنني الآن مهتم بالأربعين سنة التي انقضت منذ حدوث الانقلاب. حدثني إذًا عمّا كنت تفعله سنة ١٩٧٣؟*

مانوال أنتونيو غاريتون (م أ غ): على أثر عودتي من فرنسا صرت مديرا لمركز الدراسات الاجتماعية متعدد الاختصاصات. كان مركزا ماركسيا تستضيفه الجامعة الكاثوليكية يجمع علماء اجتماعيين رياديين. بعد الانقلاب طردت من الجامعة وأغلق مركزي. كنت في الثلاثين من عُمري وكان علي أن أختار أحد أمرين: المنفى أو البقاء. كنت منخرطا في العمل السياسي الجامعي ودائم الارتباط بالسياسات الوطنية فاخترت البقاء.

م ب: ولكن كيف تمكنت من الحفاظ على حياتك مثقفا ناقدا وعالم اجتماع في ظل الدكتاتورية؟

م أ غ: سيطر العسكريون على الجامعات وأطردوا اليساريين الذين كانوا في بعض الجامعات أغلبية فيما كانوا في بعضها الآخر مثل الجامعة الكاثوليكية أقلية ولكنها أقلية ذات بال بفعل إنتاجهم الفكري وتأثيرهم في صفوف الطلبة. حاول من ظلّوا في البلد التجمّع تحت مظلة البعض من المؤسسات الموجودة أو أسسوا أخريات جديدة. صار الأمر ذاته على امتداد أمريكا اللاتينية حيث كانت الأنظمة العسكرية. واحد من تلك المؤسسة كان CEBRAP المركز الذي بعثه في ساو باولو فرناندو أنريكي كاردوسو (Fernando Henrique Cardoso) وزملاؤه.

لم نتمكن من ابتداع أي شيء جديد ولذا احتمينا بمظلة FLACSO كلية العلوم الاجتماعية الأمريكية اللاتينية (ك ع اج أ ل) التي كانت إلى حدود الانقلاب مؤسسة حيّة لتمرين علماء الاجتماع والسياسة المتأهّبين للتخرج. كانت تلك عملية مدعومة بمؤسسات خارجية مهمة مثل مؤسسة فورد (Ford Foundation) ومؤسسة فريدرش إيبرت (Friedrich Ebert Foundation) ومؤسسات سويدية بل وحتى حكومة هارولد ويلسون (Harold Wilson) البريطانية. لاحقا، عندما ألغى العسكريون الحصانة الدبلوماسية عن مثل هذه المنظمات الدولية، احتمينا بغطاء من الكنيسة ومن الأكاديمية المسيحية للإنسانيات (Academia de Humanismo Cristiano) التي بعثها الكاردينال راوول سيلفا هنريكيز (Raúl Silva Henríquez) والتي صارت بعد الدكتاتورية جامعة. ولكن خلال السنوات ١٩٨٠ بعثتْ مراكز أخرى منها الشركات الاستشارية والمجمعات المهنية ووفرت حماية للعلماء الاجتماعيين.

م.ب: ما الذي كان بوسعكم فعله في هذه المنظمات، في ك ع اج أ ل مثلا؟

م أ غ: عليك أن تتذكر أن الشيلي كانت واحدة من مراكز القيادة الرئيسة للمنظمات الدولية في أمريكا اللاتينية. مع الانقلاب، انقطع تدفق الطلاب وصارت ك ع اج أ ل نوعا من المؤسسة الخاوية ولكن من ظلّ والوافدين الجدد مثلي أنا نذروا أنفسهم للبحث. في البداية كان الناس يأتوننا للدراسة بصفة غير رسمية وفي بعض الأحيان، وكان ذلك شيئا بالغ الأهمية، كان الأساتذة الذين ظلوا بالجامعة يرسلون لنا طلابهم. أسدينا العديد من الدروس من دون عناوين ولا أرصدة وخاصة في الفترة اللاحقة عبر آ م إ. حاولنا ان نجسر فجوة في تعليم الجيل الجديد. كانوا يريدون أن يعرفوا ما الذي كان يحدث في بلدهم وفي أمريكا الجنوبية وكنا نقوم ببحوث في هذه الموضوعات، وعليه جرى الأمر كما لو كانت تلك جامعة حرة وغير رسمية ومفتوحة أو جامعة مضادة. ولكن إلقاء الدروس كان جزءا يسيرا من عملنا. كان عملنا الرئيس هو البحث، والكثير من الندوات والحوارات والسفر خارجا ودعوة أناس جدد. كان ذلك نوعا من علم الاجتماع العمومي في سياق استبدادي.

م.ب: كيف تسنّى لكم أن تتمتّعوا بمثل هذا القدر العالي من الحرية في ظلّ الدكتاتورية؟

م أ غ: عليك أن تفهم أن العسكر حاولوا أن يقتلعوا كل شئ. في FLACSO مثلا، ولكونها وكالة ما بين حكومية ضموا عسكريا إلى المجلس. وقد ترقى بعد ذلك إلى رتبة عقيد بل عيّن رئيسا لجامعة الشيلي. وعلى الرغم من محاولتهم ممارسة الرقابة على هذه المنظمات وعلى الكنيسة الكاثوليكية كذلك فقد كان ذلك بالغ الصعوبة. حاولوا كسر العلاقات التي كنا نشيد مع الحركات الاجتماعية وواصلوا بعد عامين أو ثلاثة من القمع الشرس منع منشوراتنا ونتائج تحقيقاتنا الميدانية. ولكن وعندما بدأوا بتطبيق النظام الاقتصادي النيوليبرالي الجديد كان يحتاجون بحوثا

حول السوق فأجازوا القيام بالتحقيقات الميدانية ثانية. حاولوا أن يراقبوا أسئلة التحقيقات ولكن بطريقة بدائية وغير مجدية.

م.ب: هل واجهتم خلال هذا الكمّ الكبير من البحوث التي كنتم تقومون بها عراقيل في جمع المعطيات؟

م.أ.غ: هذا سؤال مثير للاهتمام. أنت تعلم أن الحكومة العسكرية بوصفها دكتاتورية كانت تتلاعب بالبيانات إلى الحدّ الذي جعلنا لا نعتمد عليها. كان علينا أن ننتج بيانات نا الخاصة بنا. أجبر المعهد الاقتصادي CEPLAN الذي كان يديره آلخاندرو فوكسلي (*Alejandro Foxley*) الذي صار لاحقا وزير المالية في الحكومة الديمقراطية على وضع قياسات موازية، وكان على مؤسسات أخرى أن تضع مؤشر أسعارها الخاص بسبب عدم صدقية حسابات الحكومة.

م.ب: هذا في ما يخص البيانات ، ولكن كيف كان الأمر في ما يتعلق بالنظرية. إلى ما اتجه تفكيركم حينها حيال الدكتاتورية ومستقبلها؟

م.أ.غ: خلال السنوات ١٩٦٠ كانت لنا في أمريكا اللاتينية موجة جديدة من العلم الاجتماعي تمحورت حول الماركسية وهيمنت على الجامعات وعوّضت نظرية التحديث. ولكن حقيقة الدكتاتورية كانت جديدة تماما وعليه بدأنا البحث عن أطر أخرى للتفكير. عليّ أن أقول إن المنظور الغرامشي حينها كان غزير الفائدة في الإشارة إلى حقول جديدة. لقد فتح لنا نافذة جديدة على الحقائق وبابا للخروج من الماركسية الأورثودوكسية. فضلا عن ذلك كانت تلك لحظة هامة بالنسبة إلى العلم السياسي الذي كان يجد عسرا بالغا في إثبات وجود بما أن علم الاجتماع كان يُعتبر هو العلم الاجتماعي بامتياز. ليس علم الاجتماع مفيدا لدراسة النظم السياسية على عكس إفادته في دراسة الظروف الاجتماعية التي تحيط بالنظم أو دراسة الفاعلين الاجتماعيين الذين يعارضون هذه النظم ولكن لدراسة الكيفية التي بها يشتغل النظام. عندها يتحول علماء الاجتماع إلى علماء سياسة أو مثلما نسمى أنفسنا "بوليتولوغوس" (politólogos).

م.ب: على ما تصف، يبدو الأمر كما لو كنتم أحرارا في إتيان كل ما كنتم ترغبون فيه. أحسب أنكم كنتم تكتبون عن هذا أيضا؟

م.أ.غ: كتبنا الكثير ونشرناه هنا في الشيلي. في السنوات ١٩٨٠ افتتحت FLACSO سلسلة من الكتب شملت كتابي أنا المعنون *المسار السياسي الشيلي*. كنت قد سلمتك نسخة من الترجمة الإنكليزية . كانت لنا مجلاتنا أيضا رغم منع البعض منها. في نهاية التحليل، كانت تلك الدكتاتوريات نظما استبدادية في المعنى الذي أشار إليه خوان لينث (Juan Linz) أكثر مما كانت أنظمة فاشية استبدادية تراقب حياتك الخاصة. كابد البعض هذا النوع من المراقبة التي غزت حياتهم ولكنهم لم يكونوا قادرين على مراقبة المثقفين إذا ما استثنينا التزامهم العمومي المعلن. لم ندع إلى التليفزيون مطلقا على سبيل المثال ولكن كان بإمكاننا أن نحمل بحوثنا إلى الإذاعة، وكانت لنا أعمدة على صحفنا. كنا نوفر مواد فكرية للمعارضة إذ أن بحوثنا كانت مرتبطة حزئيا بما كان يختبره الناس في حياتهم. كان بإمكاننا أن نستلهم تجاربنا من فضاءات أخرى مثل الانتقال من الدكتاتورية في إسبانيا (١٩٧٦) بحيث نُظهر أيّ نوع من المقاومة كان بإمكاننا أن نخوض. صرنا مستشارين للمنظمات الطلابية.

م.ب: هل كنتم بدأتم الخوض في التحاليل النقدية عند بداية الدكتاتورية؟

م.أ.غ: نعم. منذ البداية. نظمت أنا وزملائي الذين أطردوا من الجامعة، مثلا، أشهرا قليلة بعد الانقلاب وبصفة سرّية، *تقرير محاكمة راسل* الذي كان جزءا من حملة دولية خارجية لإدانة الجرائم ضد الإنسانية في أمريكا اللاتينية وفي الشيلي على وجه أخصّ لأن الإطاحة بأليندي جلبت اهتماما وانشغالا أكبر في الخارج. لم تكن الكومبيوترات موجودة في تلك الأيام وكان علينا أن نوزّع تقريرنا في نسخ كربونية.

في ظل مثل هذا النوع من الأنظمة وجدت فضاءات كان البعض منها تحت حماية الكنيسة والبعض الآخر تحت حماية المنظمات الدولية وأخرى لم تكن تتمتع بتاتا بأيّة حماية مؤسسة لأن العسكر لم يكونوا يهتمون بها على الإطلاق. أعتقد أن الديمقراطية المسيحية ساعدت بتحولها من دعم الانقلاب إلى المعارضة على حماية المثقفين اليساريين. كان الأمر كما لو كنت تقمع الديمقراطية المسيحية كلما أردت أن تقمع المثقفين بما يعني أن تقمع ما بين ٥٠ إلى ٧٠ بالمائة من الساكنة.

م.ب: ما الذي حل بأفكار الاشتراكية إذا طوال حكم الدكتاتورية؟

م.أ.غ: كان العديد منا ناشطين في ما سمّي "تجديد الاشتراكية" التي كانت تعني إعادة التفكير في العلاقة بين الاشتراكية والديمقراطية، أي نوعا من الشيوعية الأوروبية (Eurocommunism). بالنظر إلى تجربة الشيلي في ما بين ١٩٧٠ و ١٩٧٣، ولكن من دون أن ننخدع بالبلاغة لأنها كانت ماركسية جدا، كنا نتساءل ما مشروع إليندي؟ لم تكن تلك اشتراكية ديمقراطية لأن هذه لا تحاول أن تغيّر الرأسمالية. في هذا المعنى، في ذلك الوقت، كان تلقيبنا بالاشتراكيين الديمقراطيين شتيمة ثم صار لاحقا محلّ امتداح عال. كانت تلك محاولة لابتداع اشتراكية متآلفة مع الديمقراطية من دون أيّة خلفية تاريخية أو إطار نظري. لم تكن ثمة تجربة لماركسي منتخب ديمقراطيا على رأس الدولة، ويحاول صراحة، ضمن حكومة أن يحدث انتقالا نحو الاشتراكية.

م.ب: ما الذي تعنيه هزيمة أليندي إذًا؟

م.أ.غ.: أؤكد ثانية أن خصوصية يسار أمريكا اللاتينية هامة. كانت ثمة الأحزاب اللينينية التقليدية التي نظرت إلى الهزيمة في معناها العسكري. كانوا على حقّ ولا شك فقد كان اليسار قد تكبّد هزيمة عسكرية ولكن كان ثمة فشل تجربة كذلك، فشل في الصراع مع ما كان أليندي و *الوحدة الشعبية* يفعلانه. كانا يريدان القيام بشيئين: الحفاظ على الديمقراطية وإنشاء الاشتراكية، ولكن ضمن أي إطار؟ ضمن إطار لينيني ولكن ذلك كان مستحيلا لأنه يفترض ثنائية في السلطة في حين كانت القوّة الشعبية بعدُ، وإن جزئيا، مع أليندي في الدولة.

م.ب: آها. أما تقوله هو أن النظرية اللينينية لا تتناسب مع المشروع الاشتراكي الديمقراطي؟

م.أ.غ: نعم. لم يكن الخطاب اللينيني مناسبا للمشروع ولكنه أخاف الطبقات الوسطى وآخرين مما كانت له آثار حاسمة. ثانيا، إن كنت راغبا في صنع ثورة بما هي تغيير حاد وسريع في النموذج الاجتماعي الاقتصادي، تغيير ذو أمد قصير فإنك تكون حسب النظرية اللينينية في حاجة إلى أسلوب ثوري تتكفل بموجبه مجموعة بافتكاك السلطة والاستحواذ على الدولة وخلق مؤسسات جديدة و نظام اجتماعي جديد وبما في ذلك استخدام العنف والأسلحة.

م.ب: حسنا. ما هي إذا نظرية المشروع الديمقراطي الاشتراكي؟ ما الذي يعوض العنف والأسلحة؟

م.أ.غ: أغلبية اجتماعية سياسية. إذا ما كانت لديك الأغلبية السياسية، الأغلبية الاجتماعية والسياسية ضمن الإطار الديمقراطي تكون أنت الفائز. تعزل تلك القوى التي تريد أن تحطّم المؤسسات الاشتراكية وإعادة تركيز النظام الرأسمالي. خلقُ أغلبية سياسية يختلف اختلافا بيّنًا من بلد على آخر. لو كنت أرجنتينيا لقلت لك خذ الحزب البيروني، فز بقيادة الحزب البيروني وستكون أغلبيا. في الشيلي، وحتى نختصر القصة، اعتبرْ أن لك مجتمعا تكوّن بعد السنوات ١٩٣٠ عبر العلاقة الوطيدة بين الأحزاب والحركات الاجتماعية. خذ لك مثلا الحركة الطلابية: كانت فيدرالية، فكان المترشحون للانتخابات فيها ينتظمون في لوائح حزبية مختلفة. كان السياسيون الطلاب بمثابة الجناح الشبابي للحزب. لم يكن ذلك يعني التوجيه بل نوعا من التداخل متظافر المكونات لا تكون فيه الحركة الطلابية منفصلة أبدا عن السياسة في المستوى الوطني. في معنى أعمّ لا تكون لديك طبقة اجتماعية بالمعنى الحرفي للكلمة بل تكون كل طبقة اجتماعية منتظمة في علاقة بأحزاب.

م.ب.: كيف تخلقون الأغلبية السياسية إذا؟

م.أ.غ: كيف تخلق أغلبية؟ بتحالف أحزاب. وكيف تخلق أغلبية في بلد منقسم على ثلاث قوى سياسية كبرى لكل واحدة منها عدد من الأحزاب يكوّنها؟ يشمل اليمين الأحزاب الليبرالية والمحافظة وحينها أي خلال السنوات ١٩٦٠ الحزب الوطني. كان الوسط ممثّلا خلال السنوات ١٩٣٠ و ١٩٤٠ بالحزب الراديكالي ثم عوّضته الديمقراطية المسيحية لاحقا. وكان اليسار يشمل الشيوعيين والاشتراكيين ولكنه، وخلال السنوات ١٩٦٠، اشتمل أيضا على أحزاب أخرى صغيرة انشقت عن الوسط. وبما أنه لم يكن لليسار الأغلبية السياسية لتغيير كامل المجتمع فقد كان عليه أن يبني تحالفا مع واحد من القطبين الآخرين، الوسط أكثر من اليمين. في انتخابات ١٩٧٣ البرلمانية حصل أليندي أو الوحدة الشعبية بالأحرى على ٤٤ بالمائة ولكن ٤٤ بالمائة لا تمثل أغلبية في النظام الديمقراطي.

م.ب: ولكن التحالف مع الوسط كان يعني المساومة بمشروعكم التغييري.

م.أ.غ: من دون شك. تلك مشكلة. ولكن ما كان لصديقك غرامشي أن يقول؟ ساوم بحيث تحاول أن تقنع حليفك ولكن باعتماد التعبئة والقوى الاجتماعية لا الأسلحة. تلك هي السياسة. كان ذلك هو درس ١٩٧٣ الرئيس. إذا ما رغبت في إحداث تغيير هام في المجتمع ضمن الإطار الديمقراطي وفي تعميق هذا

الإطار يكون عليك أن تحوز على الأغلبية السياسية. الأغلبية الانتخابية وهي تعني عددا من الأصوات يفوق عدد أصوات أي حزب آخر لا تكفي إذ أنت في حاجة إلى أغلبية اجتماعية سياسية تعبّر عنها نسب التصويت المائوية التي تفوق ٥٠ بالمائة. قال برلنغوير (Berlinguer، السكرتير الوطني للحزب الشيوعي الإيطالي من ١٩٧٢ إلى ١٩٨٤) في خطابة الشهير الذي ألقاه حوالي سنة ١٩٧٤ "سوف نفوز في الانتخابات المقبلة في إيطاليا ولكننا لن نتسلّم الوزارة إذا ما التحقت بنا الديمقراطية المسيحية في الحكومة". في طريقك إلى إحداث تغييرات كبيرة أنت تحتاج أغلبية تعزل بها المحافظين والراغبين في إعادة الأوضاع البائدة والقوى العسكرية.

للتلخيص إذا، كنا خلال الحقبة التي أعقبت الانقلاب في خضم ما نسميه التجديد الاشتراكي أي ابتداع إطار نظري جديد يوجّه العلاقة بين الديمقراطية والاشتراكية. وقد أثار ذلك جدلا حول المأزق الذي أشرت إليه ولكن المناقشة كانت في الحقيقة تدور كلها حول تبرير بناء تحالف مع الديمقراطية المسيحية لمكافحة الدكتاتورية. منذ ١٩٨٠ كان الحزب الشيوعي معارضا لهذه الاستراتيجية.

م.ب: *في المرة القادمة سنناقش أثر استراتيجية الأغلبية في الإطاحة بالدكتاتورية والحدود التي وضعتها حيال حركة النظام السياسي الذي أعقبها. ببلوغنا هذا الحد أشكرك مانوال أنتونيو على روايتك هذه السيرة الفاتنة وإن كانت في ظل الدكتاتورية.*

علم الاجتماع بوصفه نذرا ضدا

عن كل أنواع التفاوت

بقلم إليزابيت جيلين، معهد التنمية الاقتصادية والاجتماعية، الأرجنتين، وعضو اللجنة التنفيذية ج د ع اج، ١٩٨٦-١٩٩٠

*إليزابت جيلين (*Elizabeth Jelin*) عالمة اجتماع ارجنتينية، عُرفت على نطاق واسع بعملها في مجالات حقوق الإنسان، وذاكرة القمع السياسي والمواطنة والحركات الاجتماعية والجندر والعائلة. تشتمل كتبها الرئيسة على "عمال الذاكرة" (* Los trabajos de la memoria*، المنشور سنة ٢٠٠٢ ثم في طبعة جديدة سنة ٢٠١٢، والمنشور بالأنكليزية تحت عنوان " State Repressions and the Labors of Memory")، و"الصورة والهوية" (٢٠١٠)، و"النساء والتغير الاجتماعي في أمريكا اللاتينية" (١٩٩٠). كانت أستاذة زائرة في العديد من الجامعات وعضوا في العديد من الفرق الأكاديمية الدولية بما في ذلك مجلس البحوث في العلوم الاجتماعية ومعهد الأمم المتحدة للبحوث في التنمية الاجتماعية ومعهد دراسات العمل التابع لمنظمة العمل الدولية وج د ع اج. هي حاليا عضو الفريق الآكاديمي في معهد العلوم الاجتماعية ببرلين (Wissenschaftskolleg zu Berlin) وكذا فريق المجلس الوطني الأرجنتيني للتحقيقات العلمية والتقنية (CONICET) ومجلس التنمية الاقتصادية والاجتماعية (IDES) في بيونس آيروس وأستاذة ضمن برنامج الدكتوراه في العلوم الاجتماعية بجامعة Universidad Nacional de General Sarmiento . حصلت سنة ٢٠١٣ على أعلى جائزة علمية في الأرجنتين وهي "جائزة برناردو هوساي الوطنية لتقدير مسار بحثي في العلوم الاجتماعية"*

(Bernardo Houssay National Prize for a Research Career in the Social Science.)

كنت بالكاد قد بلغت السادسة عشر من عمري عندما حان وقت اختيار مسيرتي المهنية الجامعية. كانت موجة التحديث في جامعة بيونس آيروس في أوجها واخترت قسم علم الاجتماع المبعوث حديثا في جامعة الفلسفة والآداب. كانت تلك قفزة مراهقة نحو المجهول والغموض. لم يكن أحد حواليَّ يعلم ما علم الاجتماع على أن هذا العلم سرعان ما صار جزءا مني وظل كذلك طوال حياتي بل مدخلا لفهم أعمّ للعلم الاجتماعي على أنه غير ذي تخصص صارم. كانت تلك لحظة تاريخية خاصة: كانت المجادلات والنقاشات السياسية حول ما إذا كان أو لم يكن من الأفضل وجود تعليم خاص في الأرجنتين على أشدّها بل وساحت على طرقات المدينة. كنت ممن انحازوا إلى تعليم عمومي حر وعلماني وكوني. ومذّاك اندمجت حياتي الخاصة ومصالحي الأكاديمية والتزاماتي المدنية السياسية بشدة في شخصيتي. من المستحيل أن أفصل بينها ولا أنا راغبة في ذلك.

على أثر تجربتي باحثة متدربة في بيونس آيروس وبعد أن أجريت بحوثا ودرّست في مكسيكو أنجزب رسالتي للدكتورا في الولايات المتحدة الامريكية. نزلت مدينة نيويورك في منتهى السنوات ١٩٦٠ بما شهدته من أحداث ماي ١٩٦٨ والتسجيلات المفتوحة في الجامعة والاحتجاجات على التدخل الأمريكي في كولمبيا (التي شاركتُ فيها على الرغم من حملي المتقدم) وبداية موجة النسوية الجديدة، وهو ما أكد إلى أيّ حدّ كانت حياتي الخاصة والعائلية وقناعاتي السياسية مندمجة كليا وبما لا فكاك له في مساري الآكاديمي.

كانت مظاهر التفاوت الاجتماعي والكفاح من أجل بلوغ المساواة والعدالة في قلب اهتماماتي. تحولت المواضيع المخصوصة ومجالات الاهتمام تبعا للتيارات الضاغطة والقضايا المطروحة وكذا للظروف الاجتماعية الأشمل حيث كانت مواضيع السنوات ١٩٧٠ تخصّ المهاجرين إلى مدن أمريكا اللاتينية، والنساء في القطاعات الحضرية الشعبية ومظاهر التفاوت الجندري في سوق العمل وحركات العمال واحتجاجات العمل. في السنوات ١٩٨٠ كانت المواضيع تتعلق بالحركات الاجتماعية الجديدة وبالنضالات من أجل المواطنة وحقوق الإنسان خلال مسارات الانتقال السياسي في أمريكا اللاتينية، في حين ركّزتُ في الفترة الأخيرة على النزاعات حول ذاكرات العنف والقمع السياسيين والآثار الممتدة للنضالات من أجل الحقوق الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

أنا أهتم للناس وأدرس ممارساتهم اليومية انطلاقا من أكثر مستوياتها حميمية وشخصية وصولا إلى المستوى الجماعي والعمومي السياسي، كما أن اهتمامي متّصل بالعائلة ومعقوليات الرعاية. أستكشف المعاني والمشاعر المتصلة بالفعل وكذا أطره المؤسسية والبنيوية. أنا مهتمة بالمضي إلى ما وراء الكلمات عاملة على إدماج اللغات المرئية (والتصوير الفوتوغرافي منها على الأخص) والممارسات الفعلية. الخيط الرابط بين أعمالي هو الاهتمام بالظاهرة الاجتماعية انطلاقا من تعدد المواقيت والسيرورات التي تكتسيها. مفتاح الربط بين التاريخ والسيرة الذاتية وإيقاعات التغيير وسرعاته والسياقات الظرفية والأمداء الطويلة يتمثل، في ما أرى، في فهم العالم الاجتماعي وتصور سبل المستقبل.

شغفت من بين ما شغفت به برؤية الآخرين وهم يطورون قدراتهم التفاعلية ويفتحون عقولهم وقلوبهم لما لم يكونوا يعرفون من الأفكار والتجارب. ليس من مجازاة لعملي أفضل مما قاله لي أحدهم "لقد جعلني ذلك أفكر". مع الطلبة يستوجب ذاك اهتماما قارا بما هم عليه باعتبارهم آكاديميين شبابا سيصيرون باحثين. طوال عقود وهبت جزءا معتبرا من وقتي وجهدي لمتابعة المراحل التكوينية التي يمر بها الباحثون الشبان. يمثّل الفضول الفكري والتجربة الحياتية المكوّنات الأصلية لذلك ثم تكون سيرورة الاكتشاف وتعلّم كيفية صياغة الأسئلة والبحث عن الأجوبة المبتكرة والاعتراف بأن الواحد "يترقى على كواهل آخرين". لن يجدي تطبيق الصيغ المنمّطة. ليس من اليسير تغذية الخيال الفكري من دون فرض وجهات النظر وممارسة السلطة التي يوجبها تفوق الرتبة الأعلى. كانت أدواتي الرئيسة هي كسر الفردانية وتعزيز الحوارات والتعاون الأفقي. استخدمت أدواتي تلك خلال تنسيقي برنامج تدريب الباحثين الشبان على دراسة "ذاكرات القمع" عاملة مع زملاء مبعوثين من ستة بلدان أمريكية لاتينية. هذه هي مسؤوليتي التدريسية الرئيسة في برنامج الدكتوراه في العلوم الاجتماعية (الذي كان يدار بالاشتراك بين الجامعة الوطنية ومعهد التنمية الاقتصادية والاجتماعية في بيونس آيروس).

مسافرة لا تكلّ، عشتُ ودرّستُ و بحثتُ في العديد من المواقع في أمريكا الشمالية والجنوبية وفي أوروبا وفي ما عداها. مقر إقامتي وعملي هو بيونس آيروس مغتنية بصلات دولية دائمة. في هذا الجانب أجندتي واضحة وهي أن أبيّن للزملاء في مراكز السلطة الأكاديمية في الغرب المهيمن أن "للهامش" ما يهبه لتقدم المعرفة ولتيار إضفاء الصبغة الديمقراطية عليها. بالخوض ضد تيار المواءمات الجيوسياسية يكون التحدي في تطوير مناظير كوسموبولتانية حقيقية منفتحة على ما يجري في العالم خارج أسوار محليتنا الخاصة. والحقيقة أن المعرفة الكوسموبولتانية نبعت من الهامش وتغذت فيه باعتبار *وجوب* اطّلاع آكاديميه على ما ينتج في المركز، كما كان عليهم أيضا أن يربطوا الصلة بين تلك المعرفة "المركزية" وظروفهم الأكاديمية المحلية. على العكس من ذلك قد يتصور آكاديميو المركز أن ما ينتج في محلياتهم الخاصة كوني وعام بل ونظري، تعريفا وبالضرورة. لهذا الموقف الذي يتكرّس في المؤسسات وأنظمة التقييم آثار بالغة السلبية على المدى الطويل، وذلك في ما يتعلق بخسران معرفة معتبرة وهامة كان من شأنها أن تساهم في تقدم اختصاصاتنا وكذا فيما يتعلق بقيمنا وبما نأمله من إقامة عالم أكثر عدلا. لنواصلْ العمل بنشاط في اتجاه قلب أوضاع اللاتوازن واللاتساوي هذه.

العالم الاجتماعي التاريخي

بقلم إيمانويل والرشتاين (Immanuel Wallerstein) **جامعة ييل، رئيس سابق لج د ع اج، -١٩٩٨**

مساهمات إيمانويل والرشتاين في العلم الاجتماعي موسومة بنصف قرن من إنتاج الكتب والمقالات الحاصدة للجوائز بدءا من دراسته لنزاعات الاستعمار والتحرر الوطني في أفريقيا خلال السنوات ١٩٦٠. من موقعه ذاك، انتقل إلى دراسة أكثر تفصيلا تاريخيا لظهور "النسق العالمي الحديث" ولآثاره. في السنوات ١٩٧٠ جددت مقاربة والرشتاين للعالم-النسق علمَ الاجتماع بوصفه مشروعا تاريخيا مقارنا. أوجد برنامجه البحثي فضاء تقبل رحبا لفائدة العلماء الاجتماعيين من أمريكا اللاتينية وأفريقيا وآسيا كما تعاون في الآن ذاته مع علماء من اختصاصات أخرى في إعادة التفكير في معنى العلوم الاجتماعية. مسافرا من دون كلل، عمل والرشتاين في العديد من المنظمات بما في ذلك رئاسته للج د ع اج. طوال تحمله عهدته على رأسها نذر جهده لإدماج علماء الاجتماع من كل أرجاء العالم وخاصة من الجنوب الكوني. مؤخّرا، تم الاعتراف بمساهماته الممتدة امتداد حياته من قبل الج د ع اج فكان أوّل من تحصل على جائزة الامتياز في البحث والممارسة.

لست متأكدا من أن علم الاجتماع كان وجهتي الموعودة. عندما كنت طالبا في سنوات الإجازة جُلت على كل العلوم الاجتماعية، ثم كان أن قررت أن أنجز العمل المطلوب للحصول على الإجازة في اختصاص علم الاجتماع لأنني أحسست أنه، بوصفه بنية منظمة، سيؤول إلى أن يكون أقل انحصارا من أي "اختصاص" آخر كان يمكن لي أن أدرسه. بنظرة استرجاعية، يبدو لي أنني كنت على حق في ذلك.

دخلت قسم علم الاجتماع في جامعية كولومبيا التي كانت حينها (السنوات ١٩٥٠) تعتبر نفسها (بشيء من الأحقية) مركز علم الاجتماع في العالم. ولكني لم أكن مناسبا تماما لما كان منتظرا من طالب بجامعة كولومبيا. لم أنجز رسالتي لا مع روبرت مورتن (Merton) ولا مع بول لازارسفيلد (Lazarsfeld). كنت مهتما بأفريقيا وكنت الوحيد الذي كان له مثل هذا الاهتمام في القسم. ذات مرة، قال لي بول لازارسفيلد أنني كنت الطالب المجاز الوحيد من القسم الذي سمع بالثورة الفرنسية. كان ذلك نوعا من المبالغة ولا شك ولكنه مساعد على التكهن بما كنت رائدا فيه. ومن حسن حظي أن السلطات القائمة، وعلى الرغم من أن خصائصي الغرائبية كانت تربكها، قبلت بي.

بدأت التدريس في جامعة كولومبيا مساعدا سنة ١٩٥٨. حوالي ١٩٦٣ حلّت بجامعة كولومبيا أول دفعة من الخريجين الذين عملوا في فيالق السلام (Peace Corps)، طلبةً أقاموا في ما كنا نسميه حينها العالم الثالث، بفترض فيهم بداهة أن يكونوا أكثر اهتماما بسياسات العالم خارج الولايات المتحدة واقتصادياته. كان الدرس الذي ألقيته (بمفردي وبالتعاون مع تيري هوبكنس Terry Hopkins) يجلب الكثير من هؤلاء الطلاب (مع طلاب من أقسام العلوم الاجتماعية الأخرى).

بعد ذلك كانت ثورة المركّبات الجامعية لسنة ١٩٦٨. كان طلبة علم الاجتماع في المقدمة وكانت الكلية الأكثر حداثة في السن منخرطة بعمق أيضا. لم تكتف ثورة ١٩٦٨ العالمية بتغيير المشاركين في السياسات بل كذلك مناظيرهم الإبستيمولوجية، وقد كتبت مقالا حول هذا عنونته *"ثقافة علم الاجتماع في قلب الجيشان: أثر ١٩٦٨ في علماء الاجتماع بالولايات المتحدة"*[١]. في العام ١٩٧٠-١٩٧١ كتبت المجلد الأول من *العالم-النسق الحديث*. كنت أجد التسمية "عالم اجتماع" من ناحية ما غير مطابقة للصورة التي أحملها عن نفسي، وبدأت أنظر لنفسي على أنني "عالم اجتماعي تاريخي".

لم تكفّ صورتي عن نفسي عن البروز بوصفها مشكلة أكثر فأكثر جدية وذلك بطريقتين أو على واجهتين. كانت الأولى هي صورة الآخرين عني وخاصة خارج الولايات المتحدة. في أوروبا وفي فرنسا بصفة أخص حيث قضيت وقتا طويلا يصفني الكتاب الذين كتبوا عن آرائي حول هذه أو تلك من المسائل التي اهتممت بها بطرق مختلفة فأكون تارة مؤرخا وتارة مؤرخا اقتصاديا وطورا اقتصاديا أو بوصفي توليفة من هذا وذاك، وعالم اجتماع.

قادني هذا العمل إلى ما أعتقد أنه نظرة أكثر وضوحا أسلطها على اختصاصاتنا (ومن ثم "ما ننذر له مسيراتنا العلمية") والتي تتوزع عليها أعمالنا بتاريخها وصلاحيتها ومستقبلها. أعتقد أن ما نسميه اختصاصا هو ثلاثة أشياء منفصلة عن بعضها (١) هو مطالبة عقلية باستقلال صنف من الظواهر تحيط بها حدود واضحة إلى حد ما بحيث يمكن للبحوث المتعلقة بها أن تكون داخل الحدود وخارجها، (٢) هو بنى تنظيمية تطالب بمجالٍ، وتحاجج بأنه يستحق حقوقا حصرية أو أولية بالتنظّم في جامعات ومجلات ومنظمات وطنية ودولية (٣) هو ثقافة تتكون من المرجعيات المشتركة وأنماط العمل وأساليب القول تفرض منظماتُها على الأفراد احترامَها والتصديقَ عليها.

في التقرير الذي نسّقته والمعروف تحت مسمّى Gulbenkian Commission Report[١] حاججنا بأن المعاني الثلاث للاختصاص (discipline) تناسب تماما فترة تمتد من ١٨٧٠ إلى ١٩٥٠ ولكنها انفصمت بعد ذلك لعدة أسباب. النتيجة كانت هي وضعنا الحالي فصار العمل الذي ننجز تحت مسمّى ما متداخلا إلى حد بعيد مع عمل ينجز تحت مسمّى آخر. أحد نتائج ذلك هي الطلب المكثف على العمل متظافر الاختصاصات أو متعددها أو العابر لها(inter-, multi-, trans-, etc.) .

في الآن نفسه تكون مطالب تنظيم المجالات أقوى من أي وقت مضى ومقاومة بالضرورة لأية إعادة وضع للحدود، فيما تتطور "ثقافات" مختلف الاختصاصات أقل مما كانت تعلنه الشعارات وهو ما يمكن التدليل عليه بإلقاء نظرة على الهوامش المرجعية للمقالات الآكاديمية.

أخيرا كان هناك ما أعتقد أنه كان جار في العالم- النسق الذي فيه نحيا والذي أعتبره اقتصادا- عالما رأسماليا. اعتقد أننا في أزمة بنيوية تمس بالنسق وأن ذلك يتطلّب منّا أن نشغل أنفسنا بطريقة نشطة للغاية بمآلات هذه الأزمة البنيوية المفترضة. أنا أؤرخ لبداية هذه الأزمة البنيوية ببداية الثورة العالمية في ١٩٦٨ على الأقل وأتوقع أنها لن تحلّ قبل ٢٠ إلى ٤٠ عاما أخرى. نتيجة لذلك كنت أكتب بقدر أكبر حول هذه الأزمة وآثارها المحتملة والخيارات الأخلاقية والسياسية التي تتضمنها.

وعليه إذا ما سألني أحد عن نوع العمل الذي أقوم به أقول هذه الأيام أنني في ثلاث حلبات. أحاول أولا أن أحلل التطور التاريخي للعالم-النسق الحديث، وثانيا أن أحلّل الأزمة البنيوية التي يجد العالم-النسق نفسه فيها حاليا، وثالثا أن أحلّل الأزمة من حيث بناها المعرفية التي تعتبر جزءا من أزمة العالم-النسق البنيوية ذاتها ولكنها تحتاج تحاليل مخصوصة مدقّقة.

المهام الثلاث هي ما أنذر له عملي وأفضل ما يمكن أن يصف ذاك هو أنني عالم اجتماع تاريخي. ولكن، عليّ أن ألاحظ أن رسالتي للدكتوراه كانت في علم الاجتماع وأن كل الخطط التي عُيّنت فيها بالجامعة كانت في أقسام علم الاجتماع. لاحقًا بالطبع صرت رئيسا لج د ع اج ولا أرى ضرورة لإعادة تسمية انتماءاتي التنظيمية بما أن ما من ذكر سيكون أفضل مما فعلت. ربّما كان علم الاجتماع، مثلما أسلفت القول، أكثر تسامحا مع هيأتي مما قد تكون عليه اختصاصات أخرى.

[١] Immanuel Wallerstein (coordinator). (1996). *Open the Social Sciences: Report of the Gulbenkian Commission on the Restructuring of the Social Sciences*. Stanford: Stanford University Press.

أيام حزيران في البرازيل

بقلم روي براغا (Ruy Braga) جامعة ساو باولو، البرازيلن وعضو هيئة لجنة البحث في الحركات العمالية (ل ب ٤٤)، وريكاردو أنتونس(Ricardo Antunes)، جامعة ولاية كامبناس، البرازيل

سوف يجد حزيران (يونيو) ٢٠١٣ له موقعا بارزا في سجل تاريخ الانتفاضات الاجتماعية في البرازيل. عندما بدأوا حركتهم في ٦ حزيران بمسيرة في ساو باولو جلبت ما يقارب ٢٠٠٠ شخص احتجاجا على الترفع في أجرة النقل العمومي، لم يكن شباب "حركة المطالبة بالمجانية" (Movimento Passe Livre (MPL)، ح م م) ليتصوروا أنهم كانوا يهزون البلد في انفجار لا تشبهه إلا الحملة من أجل الانتخاب المباشر لسنة ١٩٨٤ والتي شُنّت في ظل الدكتاتورية العسكرية حينها.

وبالفعل فقد نزل في ما بين ١٩ إلى ٢٣ حزيران، في ما يناهز ٤٠٠ مدينة منها ٢٢ عاصمة ولاية، وحسب تحقيق أجراه المعهد البرازيلي لإحصائيات الرأي العام (م ب إ ر ع)، ما يقارب ٦ بالمائة من الساكنة البرازيلية إلى الشوارع في مسيرات ومظاهرات. لموجة التجند الشعبي هذه ثلاثة أسباب أوّلها حالة الإعياء التي أصابت نمط التنمية الحالي المبنيّ على استغلال مرن للعمل بخس الأجر وعلى توليد مواطن العمل وإعادة توزيع المداخيل.ثاني الأسباب هو تعمق الأزمة الاقتصادية الشاملة ذات الآثار السلبية في نظام التراكم القائم في البرازيل حاليا والذي يقود نحو تراجع في النمو الاقتصادي. ثالث الأسباب هو حالة عدم الاستقرار الاجتماعي الكامنة إلى هذا الحد أو ذاك التي صاحبت نمو الناتج الداخلي الخام الذي كان في ما بين ٢٠٠٥ و ٢٠١٠، واستحالت حالةً من الغضب الشعبي واسعة الانتشار وفاضت على الشوارع خلال الأشهر الماضية.

اتسمت عُهدة لولا الأولى بسياسات اقتصادية ارتودوكسية وانتهت بفضيحة فساد مدويّة. أجبرت هذه الواقعة الحكومة على إعادة توجيه خط سيرها بالزيادة في الإنفاق الاجتماعي والترفيع في الأجر الأدنى إلى ما فوق نسب التضخم وتعزيز القرض الشعبي. ومثلما بيّن ذلك عالم السياسات أندري سينغر (André Singer) ساعدت هذه الاستراتيجية على تأمين تعزّز المساندة الانتخابية لنمط لولا في التعديل الاقتصادي من جانب قطاعات الساكنة البرازيلية الأكثر فقرا.

لاحقا، ومن أجل التصرّف في زيادة الضغط الذي سببه الديْن العمومي واستعادة دعم قطاعات مهمة من الطبقة العاملة عززت الحكومة الفيدرالية تنميط سوق العمل. ووفرت هذه السيرورة للعمال درجة أعلى من الحماية الاجتماعية ثم جعل تزايدُ سرعة النمو الاقتصادي، الذي جد طوال العشرية الأخيرة وقادها تصاعد أسعار المنتجات البرازيلية، الترابط بين تزايد الإنفاق الحكومي وتوسّع حماية العمل أمرا ممكنا.

على أنه، وبالتدريج، برزت مكامن النقد الذي طال النظام الهيمني الحالي. في نهاية الأمر، وبالإضافة إلى التقدّم الحاصل في التنميط وسوق العمل التي دخلت في حالة غليان والغُنم الحاصل الآن في مستوى الأجور الدنيا، يدفع نمط التنمية الحالي كذلك نحو ارتفاع عدد حوادث الشغل وتكثيف الاستغناء عن اليد العاملة وارتفاع نسبة استيرادها، والمزيد من مرونة ساعات العمل مصحوبة بتناقص نسبي للاستثمار في العمومي من النقل والصحة والتعليم.

عزز هذا الوجه الآخر من النمط حالة مستمرة إلى هذا الحد أو ذاك من القلق في صفوف العمال وخاصة الشباب منهم غير ذوي الاختصاص وغير المتّحدين وغير مكتملي التكوين وذوي الأجور المتدنية. علينا ألا ننسى أنه خلال العشرية الماضية كانت ٩٤ بالمائة من مواطن الشغل المبعوثة في سوق العمل الشكلية ذات رواتب تقدّر بمرة ونصف أقل من الأجر الأدني (حوالي ٤٥٠ دولار أمريكي). فإذا ما علمنا أن ٦٥ في المائة من مواطن العمل الشكلية يحتلها شباب ما بين ١٨ و ٢٨ سنة أمكن لنا أن نفهم سبب الاضطراب الاجتماعي الذي تسبب فيه إعياء النمط الحالي الذي تركز رئيسا على هذه المجموعة دافعا بها إلى أن تضطلع بدور أساس في بداية "أيام حزيران". استنادا إلى بحث أجرته الهيئة الاستشارية "بلاس مركيتينغ" أثناء مسيرة ٢٠ حزيران ٢٠١٣ في ريو دو جنيرو كان أغلب المحتجين مستخدَمين (٧٠،٤ بالمائة) يحصلون على رواتب أقل من الأجر الأدنى (٣٤،٣ بالمائة). إذا ما أضفنا إليهم من يكسبون أجورا تصل إلى ٣ أضعاف الأجر الأدنى (٣٠،٣ بالمائة) صار لنا أكثر من ٦٤ بالمائة من المليون شخص الذين نزلوا إلى الشوارع في ري ودي جنيرو من المنتمين إلى هذه البروليتاريا الحضرية ذات الأوضاع الهشة.

فضلا عن ذلك، كان التصاعد الحاد في عدد الإضرابات التي يشهدها البلد ملحوظا منذ ٢٠٠٨ على الأقل. استنادا إلى معلومات محيّنة صادرة عن قسم الإحصائيات والدراسات الاجتماعية الاقتصادية (DIEESE) ارتفعت الإضرابات في ما بعد سنة ٢٠١٠ بحيث كان العدد الأدنى لسنة ٢٠١٢ أعلى بما قدره ٧٥ بالمائة مقارنة بسنة ٢٠١١ بالغا ذروة لا تتجاوزها إلا سنتا ١٩٨٩ و١٩٩٠. يساعد التمفصل بين تناقص النمو الاقتصادي وسوق شغل آخذة بالتضخم على فهم مدى أهمية الظاهرة.

والحقيقة أن الحركة متعددة الأشكال السياسية التي نشهد في الشوارع مختلفة تماما عن الأخريات التي كانت شهدتها البرازيل في تاريخها القريب. بل يمكن لنا أن نلاحظ تغييرات في ملامح المتظاهرين: في البداية كانوا من الطلبة والعمال المستخدمين لوسائل النقل العمومي والذين كانوا نظموا، منذ ٢٠٠٥، من خلال حركة المطالبة بالمجانية (ح م م) مسيرات في العديد من المدن مثل فوريانبوليس وبورتو أليغري وفيتوريا وسالفادور زيادة على نشاطات شبابية مرتبطة بأحزاب يسارية مختلفة. تزايدت أعدادهم تدريجيا وبأثر القمع البوليسي العنيف الذي تسلّط أثناء مسيرة ١٣ حزيران في ساو باولو اتسعت الاحتجاجات فبلغت ضواحي المدينة حيث بدأت جموع شبابية شعبية سيرورة تجنيد قطعت حركة الجولان في العديد من الطرقات. لاحقا اجتذبت كتلةُ الشباب والعمال ذوي الأوضاع الهشة هذه الطبقةَ العاملةَ في معناها التقليدي. ففي ١١ يوليو- جويلية شارك ما يقارب ٣ ملايين شخص في الإضراب العام الذي شل عواصم كبريات ولايات البلاد.

في المحصلة النهائية حطمت هذه الإضرابات والمظاهرات أسطورة البرازيل بلد الطبقة الوسطى الشاق طريقه نحو التحول إلى خامس قوة اقتصادية في العالم، بلد ترضى فيه الأغلبية عن حكامها وعن نمط التنمية الراهن. كشفت دورة التجنّد الحالية عن وجود قلق حيال نمط التنمية الحالي وعلى ذلك فإن الاحتجاج قد يستمر لوقت طويل نسبيا.

يُلاحظ الآن انشغالٌ متصاعد حيال التناقض بين استئناف دورة الخوصصة التي تجسّدها خوصصات الموانئ والمطارات والطرق السيارة الأخيرة من جهة والمطالب الشعبية بالحقوق الشاملة في مجالات مثل الصحة والتعليم والنقل العمومي من جهة أخرى. والحال أنه، ومثلما تشير إلى ذلك جملة حملتها لافتة من لافتات أيام حزيران تم تداولها على نطاق واسع، "ليس الأمر متعلقا بالنقود بل بالحقوق".

الثامن عشر من برومير المصري[1] حدود الإصلا-ثورة (“Refolution”)

بقلم عاصف بيات، جامعة إيلينوي، أوربانا

يمثل إطلاق سراح الرئيس السابق حسني مبارك يوم ٢٢ أوت أغسطس ٢٠١٣ نقطة فارقة تؤشر إلى استعادة الثورة المضادة التي يبدو أنها بدأت يوما بعد تخليه عن الحكم في ١١ فبراير-فيفري ٢٠١١ ولكنها بلغت ذروتها يوم ٣ يوليو- جويلية ٢٠١٣ عندما أطاح الجنرال السيسي بالقوة بالرئيس المنتخب محمد مرسي رجل الإخوان المسلمين. ألغى العسكر الدستور ونصبوا حكومة مدنية مناوبة تنظم انتخابات جديدة لرئيس جديد، وتنشئ برلمانا وتكتب دستورا. في حملة عنيفة خلّفت ما يزيد عن الألف قتيل (من بينهم ١٠٠ شرطي) بدأ الجنرالات سحق خصومهم الإخوان المسلمين. بتراجع هؤلاء وبحالة الضياع التي أصابت المعارضة "الليبرالية العلمانية" انتشى المباركيون وراحوا يشنّون حملة في وسائط الاتصال وفي الشوارع مؤسسات الدولة وغذّى حلمَهم بإعادة النظام القديم الانغماسُ في شوفينية وطنية وفي التضليل الإعلامي وتغاضيهم عما كانوا يفعلون. حقن الحرس القديم، أي الضباط الأمنيون وقادة الاستخبارات وكبار رجال الأعمال وكبار قادة الوسط الإعلامي، عروقه بدم جديد، وسرعان ما امتدت المراقبة من الإخوان نحو اصطياد أيّ وجه معروف يتجرأ على تحدي الحكم الجديد بما في ذلك اليسار واليبراليون والثوريون. لم يستثنَ حتى محمد اليرادعي نائب رئيس الحكومة الجديدة السابق. مشدوهين، كان الثوريون (المشتتين على الدوائر الانتخابية التي أطلقت وقادت انتفاضة ٢٥ يناير- جانفي ٢٠١١ من أجل "العيش والحرية والعدالة الاجتماعية") يرون الثورة المضادة تتقدم.

كيف أمكن لانقلاب الوضع هذا أن يحدث بعد سنتين من الكفاح الثوري الذي لم يكلّ؟ إذا ما تعلق أمر الثورات بالتغيير العميق فإن كل الثورات تحمل في ذاتها بذور الثورة المضادة التي تظل تترقب فرصة كشف رأسها ولكنها قليلا ما نجحت في ذلك لأنها أولا وأساسا تفتقد سندا شعبيا واسعا. لم يدم ثامن عشر برومير البونابارتي الشهير طويلا وانتهت الثورة الفرنسية إلى أن أكدت ذاتها. وانتصرت ثورات ١٨٤٨ في أوروبا على موجة عاتية من الثورات المضادة مثلما هزمت الديمقراطيات الجديدة النظم القديمة خلال عقدين من الزمن.

خلال القرن العشرين فشلت المؤامرات الداخلية والدولية ضد ثورات روسيا والصين وكوبا وإيران وإن جعلتها مهووسة بهواجسها الأمنية وقمعية. تمّ شل حكومة كوري آكينو (Cory Aquino) التي عقبت "ثورة الشعب" المناهضة لماركوس سنة ١٩٨٦. في نيكاراغوا وحدها، تجربة التوجه الديمقراطي لما بعد ١٩٧٩ الفريدة تلك، نجحت الثورة المضادة عبر الوسائل الديمقراطية بعدما تمكنت حرب الكونترا المدعومة من الولايات المتحدة الأمريكية من زعزعة حكومة الصنديينيين الثورية حيث انتصرت اليمينية فيوليتا شامورو (Violeta Chamorro) سنة ١٩٩٠.

١ يحيل العنوان على الانقلاب الذي قام به نابليون بونابارت في الثامن عشر من شهر برومير من السنة الثامنة للثورة الفرنسية (٩ نوفمبر ١٧٩٩) ليضع حدا لحكم الديركتوار (مجلس حكم ثوري) وللثورة ذاتها التي كانت اندلعت في ٥ أيار مايو ١٧٨٩

ولكن انقلاب الأحداث في مصر كان بعيد الاحتمال إلى حد كبير. لم تجرّب مصر وتونس واليمن مثلما اقترحتُ ذلك في غير هذا الموضع[1] في معنًى ما ساد في القرن العشرين من إعادة بناء الدولة السريع والراديكالي، بل "إصلا- ثورة" ("Refolution") أو ثورة تسعى إلى دفع الإصلاحات داخل مؤسسات الدولة القائمة وعبرها. في هذا المسار المتناقض استفاد الثوريون من الدعم الشعبي ولكنهم افتقروا إلى السلطة الإدارية واكتسبوا هيمنة ملحوظة ولكنهم لم يحكموا حقا بما يحتمله ذلك من أثر يوجب عليهم أن يعتمدوا على مؤسسات الدول القائمة (الوزراء مثلا والقضاة والجيش) من أجل إحداث التغيير. من السذاجة بطبيعة الحال أن ينتظر المرء من مثل هذه المؤسسات عميقة الجذور في تربة المصالح أن تغيّر نفسها من تلقاء نفسها، إذ هي تبقى على الأقل تتربص في انتظار توفر فرصة لشن الهجوم المضاد. سرعان ما تفطن الثوريون إلى ما يعوقهم ولكنهم لم يقدروا إلا قليلا على تجاوز الاحتجاجات البطولية في الشوارع لأنهم افتقروا إلى تنظيم صلب ومتجانس وإلى قيادة قويّة تاركين الفرصة للسلطة القاهرة حتى تنتشر متى شاءت.

وعليه، وفيما كان الثوريون غير الإسلاميين يُهمّشون سريعا نجح الإخوان المسلمون فائقو التنظيم، وإن بأغلبية يسيرة، في تكوين حكومة عبر الانتخاب، ولكنهم فشلوا في تحقيق أهداف الثورة في "العيش والحرية والعدالة الاجتماعية". اقتصروا على تعزيز سلطتهم حتى وإن عنى ذلك التواطئ مع مؤسسات "الدولة العميقة" مثل أجهزة البوليس والاستخبارات التي كانت في الحقيقة تحتاج إلى إعادة بناء عميق.

استخدموا الدين لتبرير الحكم وحلموا ب"أسلمة" الدولة واستمروا في اعتماد اقتصاد نيوليبرالي وأظهروا قصورا فادحا في الحوكمة. وفضلا عن أنهم كانوا بعدُ مكروهين من أنصار مبارك ذوي الأعداد الضخمة، بدأ الإخوان سريعا في فقدان تعاطف العديد من الناس العاديين اللذين كانوا ساندوا رئاسة مرسي. ومع منتهى العام الأوّل اعتبر مرسي وداعموه حجر عثرة على طريق تعميق الثورة. وعليه جمعت معارضة حكم الإخوان عمليا الثوريين المعادين لمبارك ومضاددي الثورة المباركيين الذين، بمعية الملايين من المصريين العاديين خائبي الرجاء، أحدثوا انتفاضة ٣٠ حزيران- جوان. خدمت حركة تمرد بوصفها مفاعلا ربط التحالف بين هؤلاء الرفاق الغريبين، وعمل نشطاؤها ليلا نهارا طوال الأشهر السابقة للثلاثين من حزيران للتعبئة لتجمّع المعارضين وزعموا أنّهم جمعوا ٢٢ مليون إمضاء سحب ثقة بحيث يقيلون الرئيس مرسي.

عندما رأى العسكر ذلك العدد الضخم من المعارضين من دون قيادة موحّدة وقوية أقدموا على القفز على الموجة ليستقلوا أعلاها منصّبين أنفسهم قادة "الثورة المضادة لمرسي". رأى العديد من المصريين حينها في التدخل العسكري "إكراها ثوريا" ضروريا لإزاحة الحاجز الرئيس أي حكم الإخوان الذي رأوا فيه أنه يعطل الثورة. ولكنهم لم يكونوا ليتصوروا ما الذي سيفعله الجنرالات وشركاؤهم المضادون للثورة بعد الثالث من يوليو- جويلية. لم تكن تقارير الدوائر العسكرية المضادة للثورة التي تدعم "تمرد" بنيّة إبعاد مرسي لتخطئ في قراءة المعارضة الواسعة التي كان حكم الإخوان قد أطلقها بعدُ. ثمة فارق بين ما كان يدور في أذهان قادة تمرد وبين الفكرة الشعبية عنهم والتي استبدت بخيال الملايين من المصريين قبل انتفاضة ٣٠ حزيران-جوان. في واحدة من محاوراتي العشوائية مع الناس في الشوارع حادثتُ رجلا، أبا لأربعة أطفال وسائق مركب سياحي ترك عائلته في مدينة أسوان الجنوبية حالا بالقاهرة باحثا عن عمل كان افتقده. غاضبا من مرسي، قال لي الإخوان " لايقدرون على حكم البلد"، " هم يقولون إن السياحة حرام وإن على الأجانب أن يغادروا إلى بلدانهم"، وإضاف إن الإخوان "جبارون ولكن في ٣٠ حزيران- يونيو ستكون نهايتهم، سيخرج الشعب ويسقطهم". قال لي ذلك في ٩ حزيران- جوان ثلاثة أسابيع قبل الثلاثين منه. صحيح أن الإخوان أسقطوا ولكن العسكر والثورة المضادة خرجا منتصرين.

لم تستهدف حركة العسكر الإخوان المسلمين وحسب بل الثورة في ذاتها. مثلهم مثل حرس مبارك القديم هم لم يستسيغوا أبدا فكرة الثورة، فكرة تغيير مصر ولا ظهور فاعلين جدد وأحاسيس وطرق في إنجاز الأشياء جدية، وتهدد ذلك بإقلاق راحة الهرميات القائمة حكاما ومحكومين، أغنياء وفقراء، شيوخا وعلمانيين، رجالا ونساء، كهولا وشبابا، أساتذة وطلبة. بغية إعادة تعزيز حكمه كان الحرس القديم قد شرع بعد في تأجيج المشاعر الوطنية ولكنه لن يتردد في الاستنجاد بالرجعية الدينية (حتى من النوع السلفي) جنبا إلى جنب مع النيوليبرالية وإعادة تجنيد ثلاثيته الإيديولوجية: الأخلاق والسوق والعسكرية.

[1] Bayat, A. (2013) "Revolution in Bad Times." *New Left Review* 80: 47-60.

أكان من الممكن تفادي ذلك إذا ما اعتبرنا أن الثورة المضادّة كانت مصمّمة على العودة إلى النزال؟ لو كان الإخوان المسلمون إدماجيين حقا ومتهيئين للعمل مع المعارضة غير الإسلامية في تحالف ثوري ولو كانت المعارضة غير الإسلامية متهيئة للاعتراف بالإسلاميين المنتخبين، وإن لم يكونوا ليبراليين، على أنّهم شركاء في سياسة تمثيلية واسعة لكان مجرى الأحداث اتخذ منحى آخر. وبالفعل فقد كان يفترض في توازن قُوًى محتمل بين الإسلاميين المنتخبين والمعارضة غير الإسلامية والحرس القديم القانع أن يولّد فضاءا للحوار حول قضايا من قبيل المواطنة والحريات المدنية والحقوق والمسؤوليات، فضاءا يمكن فيه للجميع أن يتعلم عبر الممارسة كيفية أداء الأدوار في اللعبة الديمقراطية. من المؤكد أن مثل هذه السياسة الحكومية ما كان لها أن تستجيب للمطالبة الملحة بالعدالة الاجتماعية ولكن كان يمكن أن تكون للطبقات التابعة فرصة أكبر للتعبئة مما يتوفر لها في ظل الثورة المضادة.

يبدو هذا من قبيل التأمل المجرد ولكن له صدى في تونس. يمكن للنهضة أن تخدم مصالحها الخاصة طلما كانت أكثر إدماجية في أعمالها مع المعارضة العلمانية معترفة بانشغالها حيال الحقوق المدنية والفردية، ويمكن للقوى العلمانية التي عارضت بن علي أن تحصّن حريتها إذا ما اعترفت بحزب النهضة الإسلامي لاعبا لا بل شريكا في الفضاء العمومي التونسي. يمكن لثورة مضادة شعبوية إذا ما نجحت أن تكنس لا الإسلام فحسب بل وأيضا الانتلجنسيا العلمانية التي لم تكد تبلى من "موت سياسي" في ظل دولة بن علي البوليسية.

الشارع ضد الدولة

قلم محمد باميه، جامعة بيتسبرغ، الولايات المتحدة، مدير تحرير مجلة ج د ع اج

International Sociology Reviews

انقضت المرحلة الكبرى الأولى من الثورة المصرية، إذ أن ما بين ١١ فيفري-فبراير ٢٠١١ و١٤ آب- أغسطس ٢٠١٣ يشير إلى مرحلة واضحة الحدود بدأت بالانهيار الظاهر للنظام القديم وانتهت بعودته متعطشا للثأر ولكن مصابا بالتواء إذ هو يدّعي الآن أنه يتصرّف باسم الثورة. صارت أغلبية ظاهرة من الساكنة إلى الاستياء من حكم الإخوان المسلمين قصير العمر وكان ذلك بمثابة الأساس للتدخل العسكري الذي أطاح بأول رئيس منتخب في التاريخ المصري.

ولكن ليس من الواضح بالمرة إن كان الناس العاديون الذين ساندوا تنحية مرسي رغبوا حقا في رؤية حمام دم ١٤ آب- أغسطس حين اقتلع العسكر مخيمات مناصري مرسي مُودِين بحياة ١٠٠٠ شخص أو في شهود المجزرتين الأخريين الأقل حجما اللتين سبقتاه. كما أنه ليس من الواضح إن كانوا أرادوا أن يتسلم العسكر زمام الأمور في البلد وإن بقوة أقل ممّا كان عليه الأمر في ظل مبارك مثلما يبدو أنهم يحاولون فعله حاليا. في منتهى الأمر، ليس في الثلاثين سنة من حكم مبارك ما يشبه الفضاعات التي اقترفها نظام العسكر الحاكم الآن، ولا شهدت تلك الفترة مثل هذه الصحافة المنمطة الموالية للنظام. ثلثا محافظات مصر محكومة الآن بضباط سامين من الجيش أو الشرطة. بمثل ما نرى من قوته الفائقة، يبدو لنا من الواضح أكثر الآن كيف تمكّن الجهاز الأمني للنظام السابق من أن يستعيد الحياة حتى وإن بدت على ذلك إشارات صغيرة طوال العامين ونصف العام الأخيرين. يبدو وكأن الدولة القديمة قد توارت إلى أساسها السحيق بعمق بلغ الحدّ الذي ما من أحد ظن معه أنها ظلت موجودة لتطفو على السطح مجددا بكل قوتها القاتلة في اللحظة المواتية. إنه الجهاز الذي يدير العنف حيث بذل قصارى الجهد ليجعل خصومه يتحولون نحو استخدام العنف بحيث يبرر استخدامه لكل قوة الدولة الأمنية.

ومع ذلك، لا يمكن اختزال حركيات الثورة المصرية المعقدة في صراع حول قوة الدولة. صحيح أن أغلب الطاقة الثورية المبذولة منذ يناير-جانفي ٢٠١١ صرفت ضد الدولة بدلا من تحطيمها على أساس ما يمكن أن يكون قد دل عليه مطلب شخص معين أو حزب محدد. لم يفهم هذا الموقف الشعبي المنغرس في ميولات فوضوية اعتيادية[١] لا من قبل الأحزاب السياسية المنظمة ولا من العسكر أي تلك القوى التي كانت تتصارع من أجل السيطرة على الدولة. والحقيقة أن واحدة من آخر حقائق الثورة المصرية جدارة بالتسجيل هي ثنائية منابع حركيتها: حركية الشارع من جهة غير المقودة بأية قوة ولكنها منغرسة في تقنيات عتيقة للعيش خارج إكراهات الدولة وعلى الرغم منها، وفي الناحية الثانية القوى المنظمة وعلى الأخص منها العسكر والإخوان المسلمون والأحزاب الليبرالية المنظمة كذلك، تلك التي لا ترى في حركية الشارع إلا مناسبات تنتهزها لفائدة أجنداتها الخاصة لا على أنها مشهد ثوري ضخم يبشر بعصر جديد وبطرائق جديدة في التفكير. والحقيقة أن المرء ليصدم بضحالة النخبة السياسية المصرية التي جسدتها تركيبة الحكومة الحالية المتكلّسة وخارطة الطريق نحو الديمقراطية غير المبدعة التي تبنتها (والتي كانت قد اقتُرحتْ بعدُ حرفيا من قبل الرئيس المخلوع) وفي تلك النوعية غير القابلة للقراءة من الصحافة التي تدعو لها وفي نظريات المؤامرة البائسة التي نشرتها طوال الأزمة.

كانت الثورة المصرية، مثلها مثل الانتفاضات العربية القريبة، حركة أناس عاديين إلى حد بعيد."بالعاديين" أقصد أفرادا لا التزامات إيديولوجية واضحة لهم ولا انخراط حزبي وأولئك الذين، في ما قبل ٢٥ جانفي، لم يشاركوا على الأرجح في الاحتجاجات السياسية وقليلا ما صوّتوا في الانتخابات. ليس في ثورات الأفراد العاديين هذه انقياد إلى قادة كازيماتيين أو منظمات هرمية، بل هي تؤكد للمشتركين فيها أن الشخص صغير الحجم هو الآن فاعل في التاريخ. وفيما دفع هذا الشعور الجديد إلى ثقافة التزام بالغة الغنى بما في ذلك إبداعية أكثر فنية وجدال عالي الحركية وبيئات حوارية في كل مكان لم تولّد حالة تشبه هذه الحركية الاجتماعية الصاعدة من أسفل أو تستلهمها على الأقل.

يبدو أن ما رغب فيه المصريون العاديون من وراء ثورتهم هو دولة تعيش معهم بدلا من أن تحكمهم ولكن قليلا ما أديرت الدولة المصرية انسجاما مع هذا الانتظار وهي في ما بعد مجزرة آب أغسطس أكثر بعدا عن هذه الخيالات.

الماسكون الحاليون بالسلطة في مصر يستفيدون من بيئة استقطابية لا ترحم كانت المنبع الأخير لمجزرة آب-أغسطس. وفيما تميل البيئة السياسية المحيطة إلى إفادة أية حكومة تعد بأن تكون بما يكفي من القوة بحيث تحمي طرفا ضدا عن الطرف الآخر، تفضي في الآن ذاته إلى سياسات تُفهم على نطاق واسع على أنها من فنون القضاء على الخصوم. لقد ولّد هذا المنطق العديد من المصادمات ممهدا الطريق إلى مذبحة ١٤ آب ذات الضخامة التي ضاهت بها حجم جريمة ضد الإنسانية لم تبررها إلا "إرادة الشعب". على الفور تبنى حزب الوفد، من بين قوى ليبرالية أخرى، الفظاعة مستخدما حجة أن ما جرى لا يعدو أن يكون قيام القوات الأمنية بالمهام المكلفة بها من قبل "الشعب" الذّي تحول،

كما كان محتملا، في ٢٦ يوليو- جويلية إلى مساندة مطالبة الجنرال السياسي إياه بتفويضه بمحاربة "الإرهاب" (وهو الذي كان يقصد به ولا شك شيئا ما يعادل ثلث الشعب تقريبا).

ولكن وحتى إذا ما كان ما حدث في ١٤ آب- أغسطس هو "إرادة" الشعب فإنه لا يكف عن أن يكون جريمة ضد الإنسانية. تبدأ مثل هذه الجرائم بالتحضير الاعتيادي: نزع الصفة الإنسانية عن العدو وهو ما لم يكفّ البعض من وسائط الإعلام والمثقفين المصريين عن القيام به بحيث يبدو حمام الدم مبرّرا ومعقولا. ثانيا تتطلب الجريمة نوعا من مقاربة الحياة السياسية على أساس الإيمان بأن السياسة هي فن إبادة الخصم نهائيا، وثالثا الإيمان بأن مثل هذه المهام يمكن أن تتحقق فعلا. كل طرائق التفكير الثلاثة تمّ استخدامها بكثافة خلال الأشهر القليلة الماضية. ولكني استمعت منذ ٣ يوليو- جويلية خاصة إلى أعداء الإخوان يقولون إن هذه هي لحظة إنهاء الجماعة مرة وإلى الأبد. وعليه تبدو الجريمة ضد الإنسانية في آخر التحليل واقعة تطيّرية تعويذية (superstition) تتجسّد في الإيمان بأن حمام دم صغير يمكن أن يحلّ مشكلة لا نريد أن نفهمها. إذا كانت الثورات من صنع العقل مثلما كان هربرت ماركوز (Herbert Marcuse) قد فهم بعدُ سنة ١٩٤٠ فإنها تُدَمَّرُ بالمعتقدات الخرافية التي يتوجّب عليها، بالمقابل، أن تتخلّص منها.

من الشتيمة إلى التمرد - انتفاضة تركيا

بقلم بولات ألبمان (Polat Alpman)، **جامعة أنقرة، تركيا**

تعتلي المحافظة الإسلامية سدة الحكم في تركيا الآن، لا للمرة الأولى بل للمرة الثالثة، متصاعدة القوة في كل مرّة وقد اتخذت لها طريقا سياسية حملتها من الحكم السياسي إلى الهيمنة الاجتماعية وحتى الثقافية. هي تحاول أن تنهي وصاية الجيش التركي وأن تحلّ عبر الإصلاح الاقتصادي والسياسي أزمات كبرى بمثل حجم القضية الكردية والحجاب، كما جعلت من الوحدة الأوروبية مَثَلًا، وعبر إدارتها النفسية الاقتصادية، جعلت تركيا محلا للترحاب بالأسواق الدولية وذات فعالية في الشؤون الخارجية لمنطقتها.

على مر السنين تمكن النظام من اكتساب مساندة الأغلبية وهو ما يدفعه الآن إلى هندسة الحياة الاجتماعية على شاكلته هو. تناقصت القوة السياسية للجيش التركي حقا ولكن قوة الأمن تعزّزت وهو ما ينظر له الآن أكثر فأكثر على أنه منظمة لا تعمل إلا لفائدة النظام. وضعت الآكاديميا والإعلام تحت الرقابة (أو الرقابة الذاتية). وتم التعويد على خطاب "رجل قوي" وسياسة "نبيل" غريبة[1].

وعلى الرغم من ذلك ظلّ السخط يتصاعد موسوما بالغضب المكتوم لضحايا التغييرات الحضرية والاستخدام القمعي للمناولة وانعدام تحسينات مادية تستفيد منها الأغلبية رغم تعزيز القوة الاقتصادية المفترض، كما اندلعت إضرابات جوع في السجون للمطالبة بإمكانية خوض الدفاع باللغة الأم في القضايا. إغلاق ساحة تقسيم في وجه الاحتفالات بأول أيام شهر أيار (عيد العمال) بتعلات واهية أغضب العديدين تماما مثلما كان عليه أمر بناء جسر ثالث في إسطمبول سيحمل اسم السلطان سليم السلطان العثماني الذي قتل عددا كبيرا من العلويين. وعليه توجد العديد من المسائل التي لا تريد الحكومة أن تأخذها على مجمل الجد ومنها انتشار العنف والتعذيب والاغتصاب ضد الأطفال الأكراد في سجن بوزانتي ومجزرة روبوسكي أولوديري للقرويين الأكراد في ٢٠١١ والقصف الإرهابي لمنطقة ريهانلي في ماي ٢٠١٣.

انطلقت أحداث حديقة جيزي باحتجاج بسيط. ولكن هذا الاحتجاج كان بالنسبة إلى الوزير الأول استفزازا إيديولوجيا من صنع متآمرين داخليين وخارجيين.

بسبب رغبته الشديدة في السلطة وعدم استعداده للقيام بالمصالحات التي تتطلبها الديمقراطية جعل الوزير الأول من الشوارع فعليا امتدادا لسياساته.كان يمكن تفادي تصاعد النزاع الذي كان ابتدأ في ٣١ أيار- ماي لو لم يتهم الوزير الأول الناس بكونهم "نهابين" و"أعوانا يخدمون مصالح خاصة"، وكان يمكن للوصول إلى اتفاق أن يكون أكثر يسرا لو لم يستمر في رفع إصبعه متوعدا المحتجين معتبرا إياهم عدوا عموميا ولو لم يتم قتلهم من قبل الشرطة.

في ١ حزيران-جوان اكتسح الناس حواجز البوليس بأعداد غفيرة ودخلوا حديقة جيزي ومن هناك أسمعوا أصواتهم لكل العالم. انسحبت الشرطة وتركت الحديقة التي أصبحت مذاك مهرجانا لكل من أراد أن يعلن شكاواه. ازدهرت ثقافة مقاومة جديدة بحسها الفكاهي ورسومها الغرافيتية واستعمالها الواسع لوسائط الاتصال الاجتماعية. كانت الحركات النسوية وحركات السحاقيات وثنائيي الممارسة الجنسية ومختلطيها والمثليين (س ث م م) حاضرة بقوة عارضة خطابات جنسية حاملة لشعارات من قبيل "لا تشتموا النساء والمثليين والعاهرات" أو " قاوم بعناد ولكن من دون فحش في القول".

يوم السبت ١٥ حزيران-جوان أقام الوزير الأول تظاهرة عامة في أنقرة كان يفترض فيها أن تكشف "المصالح الخاصة" والقوى المتمردة التي كانت وراء أحداث جيزي. قال إن الأيام اللاحقة ستتشهد تظاهرة عامة في إسطنبول وأن حديقة جيزي ستخلى على الفور تبعا لذلك. انتهى التدخل البوليس التنفيذي لذلك والذي استعملت فيه قنابل الغاز ومدافع الماء والهراوات إلى خيبة. في نهاية الأسبوع تلك صارت أرضية الحديقة مثل ساحة معارض ملآنة بالأطفال وكبار السن والمعوقين الذين اندهشوا لغزوة قنابل الغاز المفاجئة تلك. ملتزما بما قال، حضر رئيس الوزراء في اليوم الموالي إلى إسطنبول المطهرة من أجل إقامة مهرجانه العمومي غير عابئ بأن المستشفيات كانت تغص بالجرحى والمصابين وحتى الأموات فيما كان العديد من النشطاء رهن الاعتقال.

تواصلت المقاومة وتجمع الناس في حديقة جيزي وفي حدائق أخرى من أجل تنظيم منتديات ناقشوا فيها سياسات الحكومة ومستقبل المدينة. هم يبتدعون لغتهم الخاصة وثقافتهم الخاصة ووعيهم الحضري الخاص. طالبت الحركة الاجتماعية الحكومة بأن تحمي الجماعات الإثنية وأن تنظر إلى المجتمع في تعدده بدلا عن الاقتصار على اعتباره من منظور الأغلبية، وطالبت بحقوق غير محدودة في حرية التعبير والتنظيم.

وفيما كانت أنشطة حديقة جيزي تتطور من الاحتجاج إلى التمرد وراهنا من التمرد إلى المقاومة، استحالت إلى حركة اجتماعية أكثر قابلية للتأثير منادية بالاستعاضة عن الأشخاص الحاكمين عبر المزيد من مأسسة الديمقراطية. بالتوازي مع مطالب جيزي أوْلى المحتجون اهتماما بالمسألة الكردية، ويترقب الجميع الآن كيفية مقاربة الحكومة لهذه القضايا وما إذا كانت قادرة على تغيير طريقها.

[1] تعبير "النبيل" نعت يستخدمه عادة رجب طيب اوردوغان ويشير به على إدارة "الرجل الواحد". الكاتب

حديقة جيزي:

فن المقاومة

بقلم زينب بايكال، جامعة الشرق الأوسط التقنية، تركيا، وعضو لجنة البحث (ج د ع اج) حول العنصرية والقومية والعلاقات الإثنية (ل ب ٠٥) نزيهة باشاك إيرجين، جامعة الشرق الأوسط التقنية، تركيا وعضو لجنة البحث (ج د ع اج) حول التنمية الإقليمية والمحلية (ل ب ٢١)، ولجنة البحث حول الطبقات والحركات الاجتماعية (ل ب ٤٧)

"أن نعيش مثل شجرة وحيدة، في حرية وتأخ مثل شجرات الغابة، فذاك هو شغفنا"

ناظم حكمت

من العسير علينا أن نعبر عن مشاعرنا حيال الشهرين الأخيرين من المقاومة، شهري حزيران ويوليو ٢٠١٣ اللذين كانا فريدين في إلهام لا تركيا فحسب بل كل العالم. صارت الجملة "أينما وليت وجهك ثمة تقسيم، أينما اتجهت توجد مقاومة" شعارا شهيرا يقال بالعديد من اللغات والمناسبات. تجمّع العديد من الناس من ذوي الوعي البيئي والحضري للاحتجاج على هدم حديقة جيزي المحاذية لساحة تقسيم في إسطنبول. ولكن لم يكن أحد ليتصور أن الدفاع عن "شجرتين أو ثلاثة" سوف يقود إلى حركة واسعة من أجل التحرر والكرامة. على أنه من العسير القول بأن هذه الحركة كانت مجرد ردة فعل على هدم الحديقة، بل استثارتها أحكام الوزير الأول حول حياة الشبان والشابات الخاصة والحد من حرية التعبير وحقوق الإنسان. كانت احتجاجا على تنظيمات جديدة مُرِّرَت بِلَيْلٍ من دون مناقشة ولا تشاور لتهجير السكّان من مراكز الحواضر ومدن الأكواخ (*gecekondu*)، من السكن الاجتماعي والأحياء الفقيرة. اتصل هذا النوع من الخطاب الرسمي طوال الشهرين مؤديا إلى انخراط جماهيري من الناس العاديين عمّقته تدخلات الشرطة مُحوّلة مواقع الاحتجاج إلى ساحات معارك.

منعت الحكومة احتفالات غرة أيار-ماي ٢٠١٣ التي كانت برمجت فعالياتها في ساحة تقسيم، على الأراضي التي تنجز فيها المشاريع. لقد هاجموا الناس الذين كانوا يحتجون على غلق مسرح إيميك (Emek Movie Theater) الذي عوّض بمركز تسوّق وهو ما كان قَدَر مركز أتاتورك الثقافي ومسرح معمّر كاراكا، وإن كانت إسطنبول أجيزت بوصفها عاصمة الثقافة الأوروبية ٢٠١٠. شنت الحكومة هجوما على كل مظاهر الفن من فاعلين وميزانية وأزياء وإخراج مسرحيات وأنشطة.

اجتمعت مجموعات ومنظمات مهنيين، وأصحاب أرضيات سياسية ومنظمات أجوار للمطالبة بفضاءات مشتركة ضدا عن كل أنواع المساحات المغلقة في ظل منع "تضامن تقسيم" التي ظلت تناضل سنينا في مجال القضايا الحضرية ذات الصلة. خلال تلك الأيام سار يساريون مختلفة واشتراكيون وأكراد وفوضويون ومجموعات سحاقيات ومثليين وكماليون والعديد من الناس العاديين الآخرين من مختلف الطبقات والأجيال ولكن من الشباب خاصة ومن "جيل X/Y" على الوجه الأخص تحدوهم المشاعر المشتركة والحميمية.

صارت حديقة جيزي نورا متوهجا على طريق الحق في المدينة، الحق في الوصول إلى مركز المدينة واستخدامه وفي المشاركة في اتخاذ القرار حول إنتاج الفضاء وفي الإنجاز الذاتي عبر جعل المدينة عملا فنيا. كانت شابولكو (çapulcu) واحدة من أكثر كلمات المقاومة استعمالا وهي الكلمة التي استعملها الوزير الأول إردوغان مشيرا إلى المحتجين بوصفهم "نهابين". أعاد المتظاهرون تملّك الكلمة وشحنت بمعان حافة إيجابية مشيرة إلى أولئك الذين يفتخرون بنضالهم من أجل حقوقهم ومن أجل كرامتهم بوصفهم بشرا مقاومين لكل أنواع القمع. صارت المقاومة المدنية إلى ما يتجاوز الأحزاب السياسية لتصبح موقع إنجازات جماعية ولغة مشتركة مثيرة إنشاء مجالس "منتديات التضامن" لدى أجوار الحدائق على امتداد البلاد.

في مثل هذه البيئة، حيث لا توفر ما يسمّى ب"القنوات الإخبارية" إلا الإيديولوجيا يزدهر الفن السياسي كاسبا قوة من السخرية المبدعة جائلا في الوسائط الاجتماعية وهو ما فاجأ بُنى السلطة ووضع تحديا في وجه تقاليدها السياسية وفهارس لغتها.

طوال تلك الأيام العدائية والمهرجانية تلك أنتج الخيال والفن والسخرية شعارات جديدة للأمل غير مألوفة في المجازات المتعارف عليها كتبت على جدران الشوارع التي أعيد تملكها وطولب بها.

عكست التشكيلة الواسعة من الصور والشخصيات الشعبية والكلمات والعناصر الثقافية تجمع مجموعات مختلفة ولكنها كانت تصنع نفس المطالب الديمقراطية. تمكن "الذكاء المفرط" الذي اتسمت به إنتاجات أجيال السنوات ١٩٨٠ و ١٩٩٠ الثقافية الساخرة، تلك التي تتهم على الدوام بأنها غير مسيسة، من أن يقاوم فنيا "العنف المفرط للشرطة"، الذي تسبب في مقتل ستة وجرح المئات وفقدان خمسة عشر شخصا أبصارهم.

غنّى المحتجّون في مسيراتهم كلمات "شابلكو" التي ألّفوها بأنفسهم، وصار ممثلو المسلسلات التليفزيونية الشعبية مثل محتشم يوزول وبهجت ش. "وجوها شعبية" للمقاومة، وساند فنانون لا من تركيا فحسب بل من كل أرجاء العالم مثل باتي سميث (Patti Smith) وجون باز (Joan Baez) وروجي واترز (Roger Waters) الاحتجاج بصورهم وأشرطة الفيديو وعروضهم الموسيقية. وصار اللّعب على الكلمات شعارات للحركة ممتدا من الأشرطة الشعبية ("ث للثأر" لتشير إلى السيدة فلدان (Vildan)[1] لوصف ربات المنازل اللاتي شاركن في المقاومة، أو عبارة "كلارك كنت (Clark Kent) نهارا، سوبرمان ليلا" التي استعملت للإشارة إلى العمال ذوي الياقات البيض (العمال ذوي المسؤوليات التسييرية الذي لا يرتدون ملابس ياقاتها زرقاء، ويسمون عادة الأرستقراطية العمالية- المترجم) الذين يشاركون في المقاومة بعد انقضاء فترات دوام العمل) إلى المغنين (حيث تحوّل جاستين بايبر (Justin Bieber) إلى "قدر كاف من الفلفل في مئزرة الرضيع"[2] بما يشير إلى الاستعمال المفرط لمسحوق الفلفل المقذوف من الشرطة) إلى الأغاني (إذ تحولت أغنية "Everyday I'm shuffling" (أخلط الأوراق كل يوم) إلى Everyday I'm çapuling ("أنهب" كل يوم)) إلى شعارات كرة القدم والإشهار التجاري (حيث تحولت "نوكيا تصل ما بين الناس " Nokia connecting people" إلى "الفاشية تصل ما بين الناس").

جُعل من واجهة مركز أتاتورك في ساحة تقسيم "الوجه العمومي" للمقاومة مثلما كان عليه الأمر في صور احتفالات غرة أيار ذائعة الصيت وكانت هناك العديد من الإبداعات الفنية الأخرى في الحديقة بما في ذلك المسرح وأشكال مختلفة من الرقصات والأشرطة والموسيقى. كانت أكثر الدمى التعويذية دلالة على المقاومة والتي تستخدم عادة في الرسم على الجدران هي "البطريق" الذي يشير إلى تليفيزيون سي أن أن التركي الوثائقي الذي نقل على المباشر هجومات البوليس العنيفة. وكان "الرجل المنتصب" الذي كان يديم الوقوف صامتا لثماني ساعات طوال الاحتجاجات واحدا من أبطال حديقة بارك مثله مثل "رجل التلسيد" (التلسيد Talcid دواء يخفف من آثار الإصابة بالفلفل الذي تقذفه الشرطة) أو "امرأة الرداء الأحمر" (المرأة التي أصيبت بمقذوف الفلفل طوال الأيام الأولى). صنعت منهم رموز جماعية من خلال المعروضات الغرافيتية على الفايسبوك. وقف الرجل المنتصب (وكان في الحقيقة راقص الكوريغرافيا إردم غوندوز) قبالة مركز أتاتورك الثقافي وأطلق نوعا جديدا من المقاومة من خلال مجرد "الوقوف"،

وقرأ آخرون في تأنّ كتبا في وجه رجال الشرطة، كما ظهر نوع آخر هام من المقاومة، نوع ساخر مرة أخرى يتلاعب بكلمات الوزير الأول بعد أن أشار هذه المرة إلى الحركة على أنها "قدور وأوان، تصدر نفس الضجيج دائما" حيث تمّ إصدار أصوات القدور والأواني من الشرفات في كل أنحاء المدينة. وبعدما صار الجو أكثر هدوءا بدأ المحتجون في تلوين درجات الطرقات بألوان قوس قزح.

اختصارا مثل محتجّو ساحة تقسيم وحديقة جيزي تسيسا جديدا وذاكرة جماعية ولغة تتجاوز السياسة المتعارف عليها، ومثلما ألحّ على ذلك آكاديميون ولكن أنكره العديد من السياسيين، تبين أن للفضاء الحضري القدرة على الكشف على أقدار من الظلم "الفضائي" تخفيها "السياسات كما اعتيد عليها". بكشفه الانقسامات الاجتماعية ينتج الفن وحدة كونية عبر طبع المشاهد في أعماق وعينا، ويمكن للفن الجامعي شابلكو çapulcu المعروف الآن بتسمية chapulling أن يمحى من الجدران و الشوارع ولكنه لن يكون سهل الاقتلاع من قلوب شهّاد جيزي وفاعليها وعقولهم. ولئن كان من العسير أن يكون شعارٌ تعويضا عن فقدان المقتولين إيثم ساريسولوك، وعبد الله كومرت ومحمد آياليتاس ومدني يلدريم وعلي إسماعيل كوركماز وأحمد آتاكان، فإننا نختم بذاك المتفائل الذي رسم على جدران الشوارع: "ما من شيء سيظل كما كان، كفكف دموعك".

١ يستقيم اللعب على الكلمات في اللغة التركية التي تستخدم الأحرف اللاتينية وذلك باستخدام حرف "ف" المخفف (V)- المترجم.

٢ يستقيم اللعب على الكلمات في هذا التعبير لأن تسمية الفلفل وتسمية منزرة الرضيع في الأنقليزية تقرب في نطقها من نطق لقب المغني الكندي المقصود (Biber-Bieber-Pepper)- المترجم.

الاختبار الهندي الكبير:

قدرة منح - ملاحقة اللامساواة

الدخل الأساس التغييرية

بقلم غي ستاندينغ (Guy Standing)، معهد الدراسات الشرقية والأفريقية، المملكة المتحدة

لم تجلب العولمة لساكنة العالم مظاهر أكثر من اللامساواة فحسب بل ريبة اقتصادية مزمنة. فشلت الحكومات في تطوير فعلي لأنظمة الحماية الاجتماعية أو مواءمتها في اتجاه التقليص من اللاأمان، بل انعطفت نحو اختبارات الموارد واختبارات السلوك والانتقائية والاستهداف والشرطية وبرامج الإعانة وأينما حللنا نجد التعميم المحرر في موضع المضحى به.

في هذا السياق ثمة تجدّد للاهتمام بمِنَحِ الدّخل الأساس المعمّمة غير المشروطة أي تلك التحويلات النقدية للمواطنين التي تضمن التأكّد من حصولهم على الدّخل الأدنى. وفيما صارت التحويلات النقدية المشروطة شعبية في كل أرجاء العالم لم يتم إيلاء البديل المعمّم غير المشروط الاعتبار المناسب. التحقتُ بجمعية التشغيل الذاتي للنسوة (ج ت ذ ن) ضمن مشروع يدعمه صندوق الأمم المتحدة الدولي لإغاثة الطفولة (يونيسيف) بغية إطلاق دراسات تجريبية حول فعالية مثل منح الدخل المعمّمة هذه في الهند.

في الهند كان الجدل العمومي حول منافع الدفع النقدي متوترا. من جهة نجد المدافعين عن الإعانات الغذائية آملين في توسيع نظام التوزيع العمومي إلى ٦٨ بالمائة من الساكنة مثلما خطط لذلك برنامج الأمن الغذائي الوطني الآن وقبل البرلمان، فيما تعتقد الانتقادات أن ذلك سيزيد الفساد استشراءا وأنه سيكون باهظ التكاليف فيما سيوفر غذاءا سيئ النوعية ولن يكون قابلا للديمومة. في الجهة المقابلة اتُّهِم المدافعون عن التحويلات النقدية بالرغبة في تفكيك المصالح العمومية وقطع الإنفاق الاجتماعي. يتمثل المشكل الحقيقي في أن السياسات الموجودة تركت ما يقارب ٣٥٠ مليون فرد أي ما يقارب ٣٠ بالمائة من الساكنة غارقين في مستنقع الفقر حتى بعد عقدين من النمو الاقتصادي العالي.

في سياق مثل هذا أطلقنا سنة ٢٠١١ برنامجين تجريبيين لاختبار وقع منح الدخل الأساس التي يموّلها صندوق الأمم المتحدة لإغاثة الطفولة بمعية ج ت ذ ن منسقا. قدِّمت النتائج في مؤتمر دلهي يومي ٣٠ و ٣١ ايار ٢٠١٣ وحضرها رئيس لجنة التخطيط المنتدب ووزير التنمية الفلاحية المكلّف بسياسات صرف المنح النقدية. ثم نظّم عرض خاص لسونيا غاندي بطلب منها.

في ثماني قرى في ماديا براديش (Madhya Pradesh) تسلم كل رجل وكل امرأة وكل طفل مقدارا شهريا أوليا بمائتي روبية لكل بالغ و ١٠٠ روبية لكل طفل دُفعت للأم أو للولي وهو ما تم الترفيع فيه إلى ٣٠٠ و ١٥٠ على التوالي لاحقا. واعتمدنا تمشيا مشابها في قرية قَبَلِيّة حيث تم صرف ٣٠٠ روبية لكل كهل طوال ١٢ شهرا و ١٥٠ روبية لكل طفل واستخدمت قرية قَبَلية أخرى مثالا مقارنا.

دفعت الأموال للمستحقين فردا فردا، وكانت في البداية نقدا وبعد ثلاثة أشهر أودعت في بنوك أو في صناديق تعاونية. تعلمت السلطات الوطنية والولائية الدّرس الواجب اتباعه إذا ما أرادت تشغيل فوائد التوزيع النقدي على امتداد هذا البلد المتسع.

في المشاريع التجريبية لم يتح للقرويين أن يستبدلوا المنح النقدية بالوجبات الغذائية ولم تفرض شروط على المتقبلين ونحن اعتبرنا هذا حيويا فيما قال من ساندوا مشروطية التوزيع إنهم في الحقيقة لا يثقون في معرفة الناس لما يكون أصلح لهم في حين يعرف صنّاع السياسات ذلك.

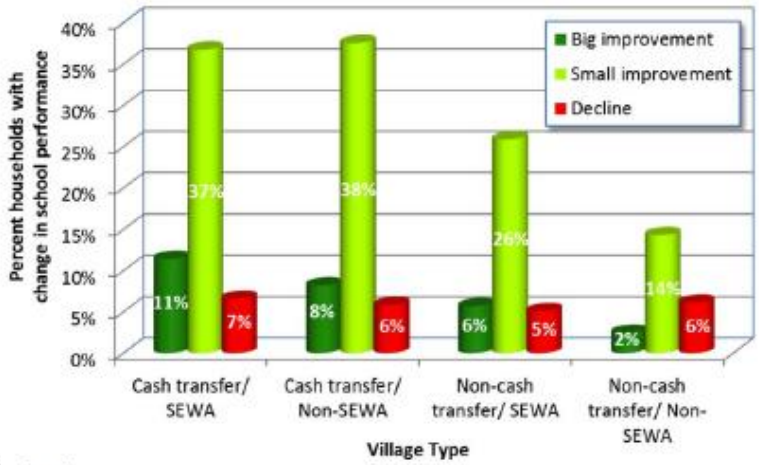

Figure 1

يعتقد منهدسو المشاريع التجريبية أن منح الدخل الأساس ستشتغل بأقصى ما فيها من فعالية بفضل مصالح عمومية جيدة واستثمار اجتماعي وأنها ستكون أفضل اشتغالا إذا ما ركزت بالاعتماد على منظمة ناطقة جامعة أي لها القدرة على جعل المنخرطين يشتغلون جماعة. كان ذلك هو موقفي حيال الدخل الأساس لسنين طويلة أي أنه لن يشتغل بأقصى طاقته إلا إذا كان لذوي الهشاشة تمثيل مؤسّسي. وعليه واختبارا لهذا الادعاء كانت ج ت ذ ن حاضرة في نصف القرى المختارة للتجريب فيما غابت عن النصف الثاني.

يدّعي المنتقدون أن منافع الصرف النقدي ستكون غير فعالة ودافعة للتضخم ومسببة لتباطئ النمو عبر التخفيض من احتياطي قوة العمل فيما يعتقد المدافعون أن لها القدرة على التحرر من الضغوط بحيث تحسّن من معايير العيش وتنمية اقتصاديات الجماعات.

بدءا بإحصاء سكاني جمع معطيات تعتمد الخصائص الديمغرافية والاجتماعية والاقتصادية وانتقالا إلى تحقيق تقويمي مرحلي ثم نهائي غطّى نفس المواصفات درسنا أثر منح الدخل الأساس خلال ثمانية عشر شهرا مستخدمين اختبارات مراقبة عشوائية قارنت بين نتائج العائلات والقرى التي تلقت الدخول الأساس مع نتائج قرى المراقبة الإثني عشر الأخرى حيث لم يتحصل أحد على أي دخل أساس. وفضلا عن ذلك أجريت أكثر من ٨٠ دراسة حالة تفصيلية اعتمدت على سرديات فردية وعائلية للتجارب من قبل فريق مستقل.

علينا إجراء المزيد من التحاليل ولكن القصة مثلما أظهرها المؤتمر واضحة تماما. قبل ذكر بعض النتائج لنُشِرْ إلى أنّه

وعلى النقيض من بعض التأكيدات خيّرت أغلبية عدم الحصول على مؤن (تشمل الأرز والقمح والكيروزين والسكر) ونتيجة لتجربة الدخول الأساس صار عدد أكبر يخيّر تسلم النقود على المؤونة. تبرز إحدى عشر نتيجة:

١- استخدم العديد أموالهم لإدخال تحسينات على مساكنهم، ودورات المياه فيها وجدرانها وسقوفها ولأخذ الاحتياطات ضد المالاريا.

٢- تحسنت التغذية وخاصة لدى عائلات الكاست المسجّلة والقبائل المسجلة. ربما كانت النتيجة الأبرز هي التحسن الهام في معدل الوزن نسبة إلى العمر للأطفال (نتيجة z للمنظمة العالمية للصحة) وضمن الفتيات أكثر.

٣- حدث تحوّل من متاجر التقسيط إلى الأسواق وهو التحوّل الذي صار ممكنا بتزايد السيولة النقدية. حسّن ذلك النظامَ الغذائيّ بحيث تضمن قدرا أكبر من الخضر والغلال الطازجة بدلا عن تركيبة المؤونة المدعومة الفقيرة المتكونة من الحبوب فاقدة القيمة الغذائية والتي كثيرا ما كانت تخلط بالحجارة في الأكياس التي يحصل عليها المنتفعون من دكاكين نظام التوزيع العمومي (ن ت ع) المكونة لنظام الأمن الغذائي المعدّل حكوميا. النظام الغذائي المحسن ساعد على تحسين الصحة والطاقة لدى الأطفال ارتباطا بتناقص الإصابات بالأمراض الموسمية وتناول أكثر انتظاما للأدوية وكذا تحسّن في اتباع الوقاية الصحية. ولكن على المصالح العمومية أن تتحسن.

٤- الصحّة الأفضل تساعد على تفسير تحسّن الدوام المدرسي والنتائج (الرسم ١) وهو ما عنى قدرة العائلات على ابتياع أشياء مثل الأحذية ودفع تكاليف النقل إلى المدرسة. من المهم أن نرى العائلات وهي تبادر إلى الفعل

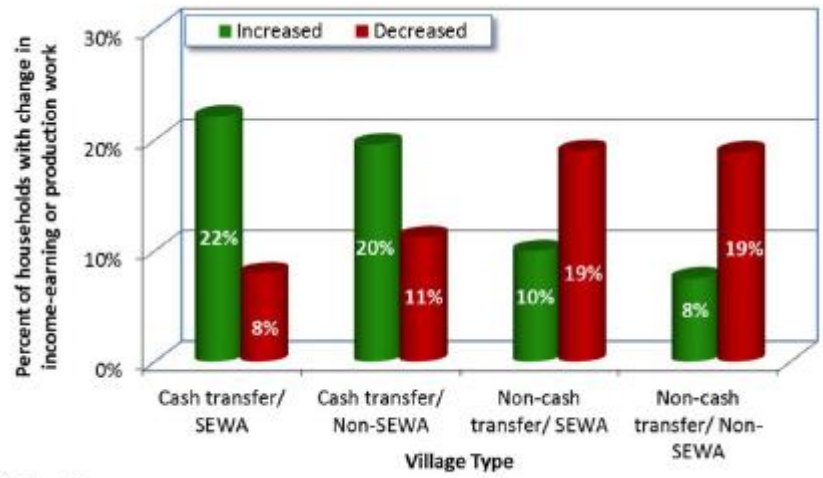

Figure 2

بذاتها فيما لم تكن هناك من حاجة إلى مشروطية باهظة، إذ يتعلم الناس الذين يعاملون بوصفهم راشدين كيف يكونوا راشدين في حين يظل الناس الذين يعاملون كما يعامل الاطفال شبيهين بهم. لا مشروطية مقبولة أخلاقيا إلا إذا كنت تضمر استعمالها لفائدتك.

٥- كان للتجربة نتائج إيجابية في مستوى العدالة، ومن أهم ما في ذلك آثار أكثر إيجابية لفائدة المجموعات المحرومة مثل العائلات المنتمية إلى الكاست الأدنى والنساء والمعوقين. فجأة صارت لهؤلاء أموالهم الخاصة وهو ما أكسبهم وضعا أفضل في التوازن التفاوضي ضمن العائلة. يظل التمكين مظهرا مؤسف تجاهله ضمن السياسة الاجتماعية.

٦- أدت منح الدخل الأساس إلى استثمارات صغيرة: بذور أكثر وأفضل، آلات خياطة، انتصاب في متاجر صغيرة، إصلاح للتجهيزات،إلخ... ترافق ذلك مع المزيد من الإنتاج وإذًا مع دخول أعلى. يعني الأثر الإيجابي في الإنتاج وفي النمو أن مرونة المخزون ستزيح ضغط التضخم الذي تسببّه أيّة زيادة في الطلب على الأغذية والخيرات الأساسية، ولقد كان من المشجع لنا أن نرى عودة مخزونات الحبوب المحلية التي كان أزاحها ن ت ع.

٧- خلافا للمتشككين أدت المنح إلى المزيد من العمل والشغل (الرسم ٢) ولكن في القصة تلاوين. تم التحوّل من العمل المأجور العَرَضي إلى العمل الفلاحي أو النشاط في مجال الأعمال للحساب الخاص مع قدر أقل من النزوح الباحث عن النجاة، فيما ربحت النساء أكثر من الرجال.

٨- انخفض العمل بالوكالة المناولة إلى درجة غير مسبوقة وهو ما كان له آثار إيجابية في التنمية المحلية وفي العدالة.

٩- صار الحاصلون على الدخول الأساس أكثر قربا من تقليص ديونهم وأقل قربا من مزيد التداين. أحد أسباب ذلك هي حاجتهم المتناقصة للتداين من أجل قضاء شؤون قصيرة المدى بالفائض المشطّ المقدر ٥ بالمائة شهريا. والحقيقة أن المتذمّرين الوحيدين من البرنامجين التجريبيين هم المقرضون المرابون.

١٠- علينا ألا نبالغ في تقدير أهمية السيولة المالية لدى جماعات الدخل المتدني. المال سلعة نادرة ومحتكرة إذا ما أخذنا القوة الرهيبة التي يتمتع بها المرابون والمسؤولون بعين الاعتبار. تجنّب الحاجة إليهم يمكن أن يساعد على محاربة الفساد. فلئن كان من العائلات من يعاني الفقر المدقع فقد تمكن العديد منها من ادّخار بعض المال وإذًا من تفادي مزيد الإغراق في التداين إذا ما عصفت بها ضائقة نتيجة للمرض أو فقدان الأقارب.

١١- لهذه السياسة قدرة تغييرية للعائلات وللجماعات القروية سواء بسواء. هاهنا يبدو الكلّ متجاوزا لمجموع عناصره. على خلاف تمشي توفير مؤن الغذاء الذي يترك بُنى الاقتصاد والسلطة على حالها متحصّنا بموزعي بطاقات خط الفقر الأدنى (ب خ ف أ)، والحصص الموزّعة والعديد من البرامج الحكومية المفترض وجودها وفرت منح الدخل الأساس للقرويين المزيد من السيطرة على حياتهم وكانت لها آثار مفيدة في العدالة والنمو.

كان واحدا من الحقائق التي افترضنا في الجدل العمومي في الهند قولنا بأن البرامج المعمّمة يمكن أن تكون أقل كلفة من البرامج محدّدة المستهدفين. الاستهداف، سواء أكان عبر ب خ ف أ سيئة السمعة أو أية طريقة أخرى، أكثر كلفةً تصورا ووضعاً موضع التنفيذ كما أن لكل المناهج الاستهدافية أخطاء عالية

الأثر الإقصائي إذ بيّنت التحقيقات التقويمية أن أقلية من الأكثر فقرا فحسب هي التي تحصل على ب خ ف أ.

عموما، يمكن لمنح الدخل الأساس أن تكون حيوية بالنسبة لنظام الحماية الاجتماعية في القرن الواحد والعشرين. هذه أوقات فارقة في سياسة الهند الاجتماعية. علينا أن نتخلص من نظام الأبوية ذي الطراز القديم وبناء نظام جديد تقدمي.

.

إسقاط اللامساواة في أمريكا اللاتينية: كم هي كلفة ذلك؟ إلى أي مدى يمكن لذلك أن يدوم؟

بقلم جولينا ماتينات فرانثوني (Juliana Martínez Franzoni): جامعة كوستا ريكا، عضو لجنة البحث في ج د ع اج حول الفقر و الرعاية الاجتماعية والسياسة الاجتماعية (ا ل١٩)، وديبغو سانشيث أنكوشيا، جامعة أكسفورد، المملكة المتحدة

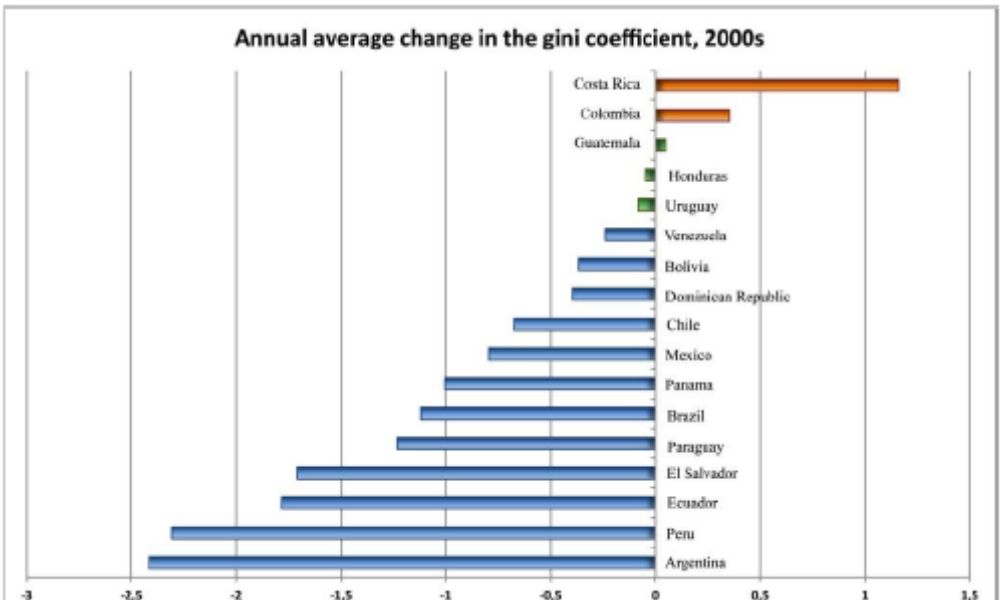

تقليديا كانت أمريكا اللاتينية واحدة من أكثر مناطق العالم لامساواة وعانت من آثار ذلك السلبية: سياسات لاوظيفية، نخب متضخمة القوة، توترات اجتماعية ومصاعب في الحد من الفقر. على أنّه، خلال العشرية المنقضية، ولأول مرة منذ أن باتت الإحصاءات حول اللامساواة متوفرة شهدت المنطقة بأكلمها واثنا عشر بلد من جملة ثمانية عشر انخفاضا فيincome inequality . ما أسباب هذا التغير غير المسبوق؟ حدث ما يسمى بالانعطافة اليسارية في المشهد السياسي: عقب التحولات الديمقراطية التي قادتها على الأغلب حكومات محافظة استلمت أحزابٌ تقدمية على امتداد المنطقة السلطة التننفيذية وكسبت الأغلبية في تشريعيات بدايات السنوات ٢٠٠٠. لا شك في كون حكومات الأجنحة اليسارية من فينيزويلا حتى الشيلي وضعت التوزيع في القلب من أجنداتها السياسية ولكن اللامساواة انقادت إلى الانحدار أيضا في ظل الإدارات المحافظة في بلدان مثل كولومبيا والمكسيك. على طول الخط كان تغيير في السياسات عكس خيبة الأمل واسعة الانتشار ضد الأفكار النيوليبرالية ووعودها غير المنجزة في جعل الأسواق تخلق مواطن شغل وموارد لسياسة اجتماعية (مكافحة للفقر).

استفادت أغلب الحكومات الجديدة من ظروف خارجية إيجابية. باعتبار شراء الصين للموارد الضرورية لمعجزتها التصنيعية سارت أسعار سلع من مثل الغاز والبترول والصوجا واللحوم إلى ارتفاع ونمت الصادرات الأمريكية اللاتينية بسرعة، حيث تنامت صادرات أمريكا اللاتينية إلى الصين فيما بين ٢٠٠ و ٢٠٠٩ سبعة أضعاف بما رفع من مخزون الدولارات الضرورية لتمويل البرامج الاجتماعية.

قاد التمفصل بين الموارد الجبائية والأحزاب التي تعتقد في الدور الفعال للدولة في التوزيع إلى تغييرات إيجابية في العمل وفي السياسة الاجتماعية. تزايد التشغيل الشكلي بالتوازي مع رواتب دنيا وتوسع في نسبة تغطية البرامج الاجتماعية. بل إن جنوب أمريكا نجحت في ما بين ٢٠٠٨ و ٢٠١٢ في حماية مواطن الشغل الشكلية والإنفاق الاجتماعي في ظل واحدة من أسوء الأزمات الكونية التي شهدها القرن الماضي، وشملت التحويلات المالية عبر البرامج التي تربط التسليم النقدي المباشر، أي برامج التسليم النقدي المشروط، بالنفاذ إلى الخدمات الاجتماعية الدنيا أكثر من ١٠٠ مليون شخص.

لم يكن الأداء متماثلا في كل البلدان بالطبع، حيث كان البعض أكثر نجاحا في دفع التغيير الإيجابي لا في ما يهم الاستثمار الاجتماعي فحسب بل في خلق مواطن الشغل الوفيرة وفي تنميط الموافقات التي تهم سوق الشغل. كانت نتيجة الجهد المبذول من أجل تثبيت مواطن الشغل والترفيع في الأجور الدنيا في البرازيل مشهودة: في ما بين ٢٠٠٢ و ٢٠١٢ ارتفع عدد البرازيليين المنتمين إلى الطبقة الوسطى من ٦٩ مليون (٣٨ بالمائة من المجموع) إلى ١٠٤ (٥٣ بالمائة). وصار الأوروغواي البلد الأمريكي اللاتيني الوحيد الذي يستخدم بنجاح عقود العمل الجماعية لفائدة قطاعات واسعة من الساكنة.

كانت إنجازات بلدان أخرى جيدة جدا في ما يهم تحسين ظروف العمل أكثر من أي مجال آخر. إن مثار الاهتمام هنا هو أن هذه النتيجة المركبة توجد في بلدان يقودها كما يقال يسار "جيد" ومسؤول جبائيا (مثل الشيلي) وكذا يسار "سيء" و"شعبوي" مثل بوليفيا. وقد أدت التغييرات الأخيرة بالبعض إلى الحديث عن حقبة جديدة واعتبار أمريكا اللاتينية حالة نموذجية لباقي العالم في حين تظل اللامساواة في طريقها إلى التنامي من مدريد إلى بيجين. على أنه لا بد لنا من أن نحذر التفاؤل المفرط وأن نعترف بالكبوات التي مست الطريق الأمريكي اللاتيني مؤخّرا.

أول الكبوات هو عدم نفاذ مرابيح سنوات ٢٠٠٠ الوفيرة في مجالات العمل والإدماج الاجتماعي إلى أمريكا الوسطى، موطن ما يقارب ٨٠ مليون شخص في بلدان واقعة شمال بنما لا تزال ترتهن إلى تصدير قوة العمل التي فيها إلى الولايات المتحدة على الأغلب بحيث لم تتقلص اللامساواة بصفة ملحوظة إلا في السلفادور (وحتى في هذه البلدان تظل المعطيات محل شك بفعل موانع النفاذ إلى الفئات الأكثر غنى والأكثر فقرا ضمن الجماعات العنيفة). تكافح بلدان أمريكا الجنوبية من أجل الترفيع في مداخيل الدولة والحد من تأثير النخب وفي نفس الوقت من أجل إنماء مواطن الشغل الحسنة والخدمات الاجتماعية عالية القيمة.

ثاني الكبوات يتمثل في كون الأغنياء، في كل المنطقة، لا يزالون يسيطرون على غالبية الموارد ويتخلفون عن دفع منابهم العادل من الضرائب. مع اعتبار بعض الاستثناءات المرتبطة بعائدات النفط والغاز المستخرج في بوليفيا والأرجنتين، تم التوزيع من دون المس بمصالح الشركات. لا تزال الشركات الأمريكية اللاتينية المؤسّسة حول روابط عائلية في مثل شحها السابق فيما يفترض في كبار أثرياء البرازيل أنهم يخسرون إذا ما قورن بين أرقام الأعوام الماضية ولكن إطارات التنفيذ السامية في ساو باولو يربحون ما معدله ٦٠٠ ألف دولار في السنة، أي أكثر مما هو موجود في نيويورك ولندن.

ثالثا،وللأسف الشديد، ثمة عجز مشترك في تطور التغييرات الاقتصادية. تماما مثلما كان عليه الأمر منذ قرن لا تزال أمريكا اللاتينية تبيع المواد الخام لتبادلها بالخيرات المصنعة بفارق عال. هذا أمر مثير للقلق فعلا لا لأنه يخفض من القدرة على خلق مواطن الشغل ويجعل النمو مرهونا بالصين بل لأن الاقتصاد الاستخراجي يمثل تهديدا لمستقبل الكرة الأرضية.

الصين في أفريقيا: ملاحظات ميدانية

بقلم شينغ كوان لي، جامعة كاليفورنيا، لوس انجلوس، الولايات المتحدة الامريكية

عزيزي مايكل، تهاني من كيتوي،

نعم أنا هنا بصدد إنجاز عمل إثنوغرافي ميداني في تلك الأرض التي وقفت أنت عليها يوما، كوبربلت (Copperbelt) الزمبية. خلال هذا الشهر أنا مقيم في منجم نكانا الذي أكّد لي ساكنوه المحليون أنه كان في يوم من الأيام روكانا، المنجم الذي أنجزت أنت فيه بحثك منذ ٤٠ سنة خلت من أجل كتابة *The Colour of Class*. انتهيت أخيرا إلى نفس الموقع. مثلما تعلم أُجبرت الحكومة الزامبية تحت ضغوط صندوق النقد الدولي على خصخصة مناجم النحاس، بداية من ١٩٩٧. رُبطت نكانا مع موفوليرا وبيعتا إلى Glencore تاجر السلعة الشهير والنافذ المقيم في سويسرا. يسمى المنجم الآن Mopani Copper Mines

يحتمل أن تكون هذه المنازل القريبة من نفق المنجم هي نفسها التي سكنتها أنت. هي الآن مكاتب للمتصرفين والمهندسين والجيولوجيين. تسيّج المنجم تجمعات سكنية عالية الكثافة كثيرة يعيش فيها عمال المناجم بمجاري مياهها المفتوحة وافتقارها للكهرباء غالبا والتي لا ماء لها سوى ما تزوده الحنفيات البلدية. يخفق قلبي منكسرا كلما رأيت أطفالا صغارا فقيري التغذية يتسكعون في الشوارع ولا يضعون إلا أسمالا ممسكين بقوارير الجعة المحطمة. ليس لي إلا أن أعجب لمغادرتك زامبيا في لحظتها الأكثر تفاؤلا وثقة قليلا قبل أن تبدأ انحدارا حادا إلى أربعة عقود من الركود بل ومن اللانمو. ولم يبدأ الناس في رؤية علامات على التعافي الاقتصادي إلا منذ ما يقرب من سنة ٢٠٠٤ عندما استعادت أسعار النحاس العالمية ارتفاعها بفعل الطلب النهم من الصين والهند. ولكن حتى الآن لا يزال الفقر والبطالة منتشرين.

بدأت أزور زامبيا من خمس سنوات متتبعا الرأسمالية الصينية وهي تدخل أفريقيا. على اعتباري دارسا للعمل الصيني طوال ما يقارب العشرين عاما كنت أعجب لوابل النقد الذي كان في تقارير الإعلام الغربي عن "الاستغلال الصيني للعمال"، تلك القصص التي تختتم دائما بشبح "النيكولونيالية الصينية" المحتوم. والحقيقة أن العلامات الصينية موجودة في كل مكان في كوبربلت معلنة قدوم بنك الصين ومتعهدي البناء الذين يعملون على إعادة تأهيل الطرقات منشئين ملعب ندولا الشبيه بعش العصافير وكذا البنية التحتية للجنة المكلفة بمنطقة التعاون الاقتصادي الزامبي الصيني والتي بعثتها الشركتان الحكوميتان Chambishi Copper Mine وChambishi Copper Smelter.

ولكن وبعد فترة وجيزة من حضوري أدركت أن الحضور الصيني جزء من تدفق أوسع لرأس المال الأجنبي نحو كوبربلت. المؤسسة الأكبر في قطاع المناجم هنا هي كونكولا كوبر للمناجم التي تمتلكها شركة فانديتا وهذه شركة متعددة الجنسيات مسجلة في لندن وتنحدر من الهند. وقد حصلت واحدة من أكبر الشركات المنجمية في العالم، فالي البرازيلية مؤخرا على منجم لوبامبي فيما تدير الشركة الجنوب أفريقية First Quantum Minerals Limited منجم كانسانشي المفتوح وهو الأكثر توفيرا للربح مما عداه من دون منازع. فإذا نظرنا إليها بالتوازي مع النظر إلى الشركة المملوكة لسويسرا موباني صار من أن أكتب كتابا في ذلك أفضل لي من الحصول على تقدير على الإجابة على هذا السؤال. ليس ما كتبت هنا إلا تمهيدا لمناقشة عالمية مستقبلية.

مصارعة الأمواج: يوميات حديثة لحياة بحار

بقلم هلين سامبسون (*Helen Sampson*)١، جامعة كارديف، المملكة المتحدة،

عضو هيئة لجنة البحث في علم اجتماع العمل التابعة لج د ع اج (ل ب ٣٠)

البحار معلّق على عمود في مؤخّرة المركب فيما تسطع عليه شمس مكسيكو الحارة. الحر شديد إلى الحد الذي يبدو معه أن الهواء على وشك الانفجار. البحّار الآن في موقعه حاملا جهاز إرسال ذي ذبذبات عالية منتظرا التعليمات. هو الآن في موقعه منذ ساعتين خلتا ولكن ليس بمستطاعه الابتعاد، وليس بمقدوره البحث عن الظل وليس له ما يشربه، وهو ليس يعرف كم من الوقت سيستغرق انتظاره بعدُ. المركب ناقلة نفط، ترسو في ميناء في مكسيكو فيما أجّل إقلاعها. الربان على متنها في انتظار قيادة السفينة إلى عرض البحر، والقبطان وضباط الملاحة على الجسر. لم يحدث شيء بعدُ، توقفت سفينة قادمة على مقربة من الميناء والمركب في انتظار السماح له بالرحيل. تيبست حنجرة البحار ضمأ وهو متعب وتعيس ولكنه لن يشتكي.

التقيت هذا البحار بينما كنت أجري بحثا استخدم فيه الملاحظة بالمشاركة على متن السفن في نطاق البحوث حول البحار[١] التي يمولها مجلس البحث الاقتصادي والاجتماعي في المملكة المتحدة لدى مركز البحث الدولي حول البحارة (م ب د ب) ومقره في جامعة كارديف. البحار اسمه ميغال[٢] وقد رافقته وزملاءه في الطاقم في رحلة على متن ناقلة عمرها عشرون عاما صنعت في اليابان. كانت الناقلة صغيرة بالنظر إلى المقاييس الحديثة بحمولتها القصوى ذات ٤٠,٥٠٠ طنا. طولها الجملي ١٧٩ مترا وعرضها ٣٠ مترا. كل بحارتها كانوا رجالا ينحدرون من خمسة بلدان. كان أحد الضباط كرواتيا والآخر باكستانيا والثالث بنغالي، وكان "الصنف الأدنى"، أي البحارة، من الفيليبين والمستخدمين القارين من تركيا. كان ميغال بحارا قوي البنية وبصفته تلك كان من مستخدمي الصنف الأدنى ولكن ليس من المنتمين إلى درجته السفلى على متن القارب (الذي يكونون "بحارة عاديين" أو "مستخدمي قاعة الطبخ").

ميغال وزملاؤه الفيليبينيون مستخدمون بعقود تدوم تسعة أشهر من وكالة توفر البحارة لمشغل المركب. لو اشتكى لعاد إلى المنزل ولو فعل كذلك لكان في خشية من أن يوضع على القائمة السوداء لوكلاء التوظيف على امتداد مانيلا وألا يعود إلى العمل في البحر ثانية أبدا. عندها لن يكتمل المنزل الذي يبنيه للعائلة ولن يعود قادرا على توفير العناية الطبية لوالديه ولن يحصل أبناؤه على التعليم الذي أراده لهم. كل أبناء عمومته وعماته وأخواله مرتبطون بدولارات حوّالاته وليست هناك من فرص عمل على اليابسة يمكن له بها أن يحصل على عائد يقارب ولو قليلا مقدار راتبه. هو لا يفكر حتى بالتشكي.

حياة البحار واقعة تحت هيمنة العمل التامة. يعمل "ضباط المراقبة" سبعة أيام في كل أسبوع من أسابيع مدد عقودهم. يصف أحد البحارة ذلك قائلا:" عملي ممل كثيرا، وعسير... ٣٦٥ يوما على متن السفينة، أعمل كل يوم، أعمل كل يوم، أعمل كل يوم". أحيانا وعندما يكون المركب بعيدا عن السواحل يمكن أن يُسمح للبحارة غير المكلفين بالمراقبة أن يستريحوا يوم السبت، ويمكن أن ينتظم حفل شواء على بعض المراكب. على متن العديد من المراكب ليس يوم السبت فارقا بأي شئ مخصوص ما عدى بعض ساعات من الراحة. في الميناء، لا شئ يقطع إيقاع العمل لا بالنظر إلى ساعات النهار ولا إلى أيام الأسبوع. لا يوفّر المركب مالا لمشغله إلا إذا كان في حركة على الدوام. المركب ذو الفعالية يدخل إلى الميناء ويخرج منه في ظرف ساعات شاحنا ومفرّغا شحنته بحيث قليلا ما يتمكن البحارة من فرصة للمغادرة إلى اليابسة. يوصف المركب من قبل العديدين بأنه سجن ولكنّه سجن مدرّ للمال ويوجد في البلدان النامية مخزون جاهز من البحارة الراغبين في التضحية بحياتهم العائلية وبصداقاتهم وبملذاتهم الخاصة لقاء العائد المالي الذي يمكن أن يوفره العمل مع الشركات الدولية ذات الصيت. يشرح بحار الأمر على النحو التالي:" الحياة على ظهر مركب وحيدة تماما... أشتاق إلى أبنائي. العمل على ظهور المراكب شاق، شاق جدا".

على أن ثمن العمل بالنسبة إلى العديد من البحارة باهظ أكثر. عمل البحار خطر. في نوفمبر ٢٠١١ انكسرت ناقلة خفيفة الحمولة قبالة ساحل الشمال السكتلندي قسمين في عرض البحر الصخري ومات ستة من البحارة الثمانية الذين كانوا على متنها. وصف أحد الناجين ما حدث قائلا: " انقسمت نصفين من وسطها. رأيت ذلك بأم عيني... ما من أمل كان يمكن أن يحدو محاولة إنقاذها"[١] . ليس هذا خارقا لما اعتيد. سنة ٢٠١٠ كان مركب من حوالي ٦٧٠ يفتقد في عرض البحر. وتوجد مخاطر تتأتى كذلك من طبيعة العمل على متون المراكب: مخاطر الإصابة بجروح في الظهر، وقطع الأصابع، وكسر العظام وجروح العيون ومخاطر تتأتى من الحمولة وأخرى من الآلات الضخمة ومن الغازات السامة. وعليه هناك انشغال أيضا بالصحة العقلية للبحارة المحبوسين على ظهر مركب لمدة شهور. يمكن أن يشتغلوا مع أبناء جنسيات أخرى يستخدمون لغة ثانية (الإنكليزية عامة) للتواصل، وألا تكون لهم صلات متواترة بعائلاتهم، وأن يحصلوا على طعام غير مغذ وأن يحشروا في مآوٍ مكتضة. وزيادة على ذلك يمكن ألا تتوفر لهم من الفرص إلا القليل للإفلات من مراقبة رؤسائهم. الحياة في عرض البحر محكومة بهرمية صارمة وذلك يستمر ليلا نهارا أثناء العمل وخارج أوقاته. ما من مهرب ولا استراحة.

[١] See Sampson, H. (2013) *International Seafarers and Transnationalism in the Twenty-First Century*. Manchester: Manchester University Press.

٢ ميغال اسم مستعار أستخدمه لحماية هوية البحار الذي ساهم في بحثنا- الكاتبة.

بويرتو ريكا: جزيرة مجازر؟

بقلم جيورج ل. جيوفانيتي (Jorge L. Giovannetti)، جامعة بويرتو ريكو، سان خوان، بويرتو ريكو

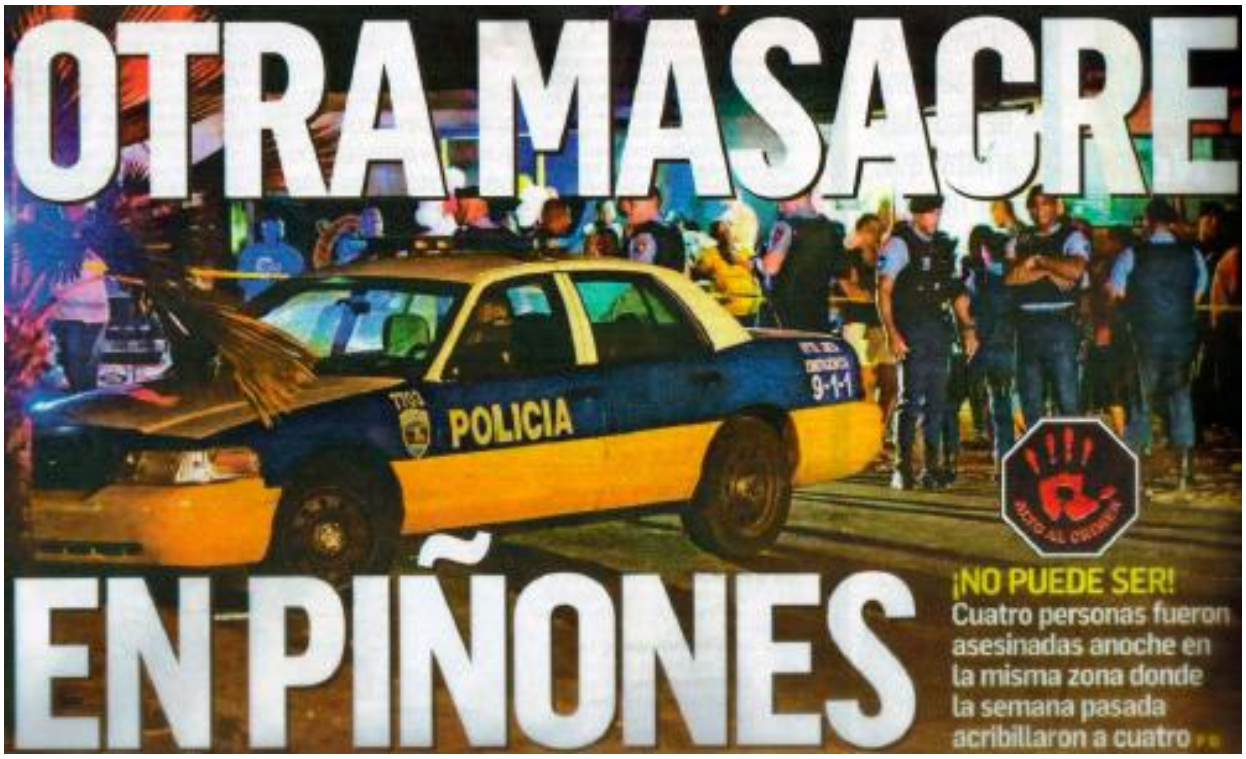

حدثت عشر مجازر في بويرتو ريكو سنة ٢٠١٢ وبحلول ماي ٢٠١٣ أوردت التقارير الصحفية المُحْصِية للمجازر ستة منها في مِلْكِيّة الولايات المتحدة الأمريكية هذه التي تعدّ ٣،٧ مليون ساكن.

فيما اكتسبت بويرتو ريكو سنة ٢٠١١ مرتبة لا تحسد عليها في *الدراسة العالمية حول القتل الإجرامي* الصادرة عن الأمم المتحدة وفيما صَنَعَ معدّل القتل فيها العناوين الأولى في نيويورك تايمز لم يستقطب حدوث ستين مجزرة خلال ستين شهرا الاهتمام الدولي. ولئن لم أكن من المدافعين على اعتبار إحصائيات العنف مقياسا للاعتراف الدولي بالجزيرة فإني مصدوم من كون مجزرة واحدة في قاعة سينما في كولورادوا تحظى بتغطية أوسع مما تحوز عليه جزيرة تشهد مجزرة كل شهر تقريبا.

حتى إذا ما اعتبرنا الاهتمام بالعنف، ذاك الاهتمام المروّع غالبا في شبكات الإعلام العالمية فإن نموذج الأحداث في بويرتو ريكو لا يمثل مادّة "أخبار عاجلة". تركيزها يتسلّط على الأحداث الفريدة وعلى الغرب وليس على الباقي. ولكن ربما كان السبب الآخر الذي جعل سلسلة المجازر الفريدة هذه لا تحوز اهتمام منظمات الإعلام ولا علماء الاجتماع على علاقة بالإحصاء والتسمية. يكفي ثلاثة من ضحايا أقدار الأحداث العنيفة حتى تسمي الصحافة البويرتو ريكية ذلك مجزرة.

عدد ضحاياه الثلاثة في غير محل تساؤل. ذاك هو المقياس الذي قدّرته الشرطة لتصنيف هذه الأحداث وإن كان قائد الشرطة العام صنّف واحدا منها على أنه "حادث خلّف ضحايا متعددين" من دون أن يستخدم اللفظة مجزرة وهو ما جلب له توبيخ علماء الجريمة المحليين. وبرّر أستاذ قانون جنائي استخدام اللفظة قائلا "سواء أكان ذلك خاضعا للعرف أو للمعيار، فإن هذا النوع من الإجرام ينطبق على الحالات التي يكون فيها عدد الضحايا ثلاثة أو أكثر".

على المستوى المحلي لا تبدو ممارسة تسمية الحادث مجزرة كلما بلغ ولكن من خلال إطار عالمي مقارن أو في حالة تقرير الأنباء البويرتوريكية على مجازر تحدث في أي مكان آخر يمكن أن يصير استخدام اللفظ المحلي إشكاليا. فقد استخدمت صحف بويرتو ريكو عنوان الأحرف الكبيرة "مجزرة" مثلا لحالتين مختلفتين نوعيا تمثلت المحلية منهما في قتل أربعة أشخاص في تبادل للطلق الناري بين سيارتين فيما كانت الدولية إطلاق أندرز بريفيك (Anders Breivik) النار على ٦٩ شخصا في النرويج. من الواضح أن دغم أنواع مختلفة من العنف تحت نفس التسمية يشوش على فهمنا للحادثين وللعنف عامة.

يؤكّد جاك سيملن (Jacques Semelin) في ما كتب عن المجازر أن " علم الاجتماع أهمل حقل البحث هذا مدة طويلة جدا تاركا ذلك للمؤرخين". والحقيقة أن هؤلاء وكذا علماء النفس الاجتماعي ساهموا بقوة في فهمنا للعنف الجماعي ولكن بالتركيز على الإبادات الجماعية. تشتمل الأدبيات السوسيولوجية في ذلك على ما كتب تشارلز تيللي (Charles Tilly) الذي فحص أنواعا مختلفة من العنف الجماعي ولكن من دون مفهمة المجزرة. وقد أبرز كل من وولفغانغ سوفسكي (Wolfgang Sofsky) وسيملن المكونات المخصوصة للمجزرة التي يجب أن تتوفر وقد عرفها الأخير بكونها "شكلا من الفعل يكون على الأغلب جماعيا ويهدف إلى تصفية أشخاص غير مقاتلين". على أنه ما من أحد حدّد عدد ضحايا المجزرة. التعريف الوحيد الذي يحيل على "ثلاثة أو أكثر" هو تعريف اللجنة الغواتيمالية لحقوق الإنسان ولكن بشرط توفر خصوصيات أخرى (وهي النية في تصفية المعارضة، وبث الارتعاب، والمعاملة القاسية والمُهينة للضحايا والاقتراف الممنهج لها).

ها نحن نعود للمربع الأول إذًا من دون أن نكون قادرين على التأكيد إن كانت أحداث "قتل ثلاثة" البويرتو ريكية مجازر بالفعل. تثير عناصر في التعريف المشار إليه أعلاه وكذا ما يبدو من تصوّر سيملن للمجزرة على أنها جزء من الإبادة (التي تشمل عنصر التصفية الكاملة)، أو يكون حدوثها في الطريق إليها، مسألة النية في مقاربتنا للمجازر ومقترفيها حتى وإن تعلق ذلك بقتل ثلاثة أو عشرات في بويرتو ريكو أو في أي مكان آخر. هل يصح تطبيق المؤشر على إعدام يتمّ من خلال تبادل للطلق الناري من سيارة إلى سيارة بين عصابات تهريب مخدرات متعارضة؟ هل كانت نية بريفيك الرئيسة هي تصفية أعضاء في حزب العمل النرويجي؟ أكان أدام لانزا (Adam Lanza) يستهدف مجموعة محددة (إثنية أو غير ذلك) في المدرسة الابتدائية في ساندي هوك في كونكتكت؟

بصفتنا علماء اجتماع نحن في حاجة ولا شك إلى القيام بتحاليل أكثر عمقا للمجال الوسيط الموجود بين أفعال عنف فردية وعمليات إبادة جماعية إذا ما صح اعتبار المجزرة ظاهرة اجتماعية. قد يحاجج البعض بأننا ما دمنا نعلم ما يحدث في أي حادث من العنف الجماعي قاتل (فلتكن إعدامات قرى حولة في سوريا سنة ٢٠١٢) يكون من غير المهمّ تسمية ذلك مجزرة من عدمه. حسنا، يكن أن نعرف ما حدث ولكننا لن نفهم كيف كان ذلك ولِمَ. لا يمكن أن تكون تسمية شئ ما باستخدام أول كلمة نجدها في قاموس أفعال غير معقولة من العنف أمرا سهلا خارج سيرورة فهمه.

زيادة على ذلك، وإذا ما أخذنا من بورديو الفكرة القائلة بأننا بتسميتنا للأشياء نخلقها يمكن أن ننتهي، في بويرتو ريكو على الأقل، إلى مجازر تعرّف على أساس العدد فحسب (كما في ثلاثة أو أكثر من الضحايا) من دون أن نعتبر مؤشرات سوسيولوجية أخرى هامة. ليس هذا من دون أثر على ما نحن فيه. غرقت بويرتو ريكو في السنوات الأخيرة في جدل عميق حول عقوبة القتل التي أثارتها المحكمة الفيدرالية من جديد ضد مقترف مجزرة سنة ٢٠٠٩. من بين من أصدروا أحكاما للعموم سياسي محلّي شجع على تسليط عقوبة الإعدام على "مقترفي المجازر" المعرّفة تبعا للأسلوب البويرتو ريكي. قد لا تحتاج الجزيرة وقتا طويلا لتشهد محاكمة أخرى للمجزرة يكون فيها تعريف اللفظة ذاتها محل محاكمة. يقول بورديو "الخطاب القانوني خطبة ابتداعية تجلب إلى الوجود ما تنطق عنه". إذا ما أمكن من خلال تعريف الإعلام أو بعض السياسيين أن تكون المجزرة أيّ قتل يفوق عدد ضحاياه الثلاثة وإذا ما صارت عقوبة الإعدام هي جزاء مقترفيها فإن هذا هو الوقت المناسب لعلماء الاجتماع للانخراط في المزيد من بلورة مفهمة مثل عمليات القتل الجماعي والمجازر هذه.

حواجز حقيقة في وجه الحوار جنوب-جنوب

بقلم إليانا كايموفيتز (Eliana Kaimowitz)، مركز دراسة القانون والعدالة والمجتمع (دوستيسيا Dejusticia)، بوغوتا، كولمبيا

تخيل أنّك ناشط في مجال حقوق الإنسان من مدينة صغيرة في أمريكا الجنوبية تحاول أن تمنع شركة منجمية أوروبية من مواصلة تلويث ماء شرب جماعتك، وسمعت مؤخرا أن ناشطة أفريقية في مجال حقوق الإنسان قدرت على منع نفس الشركة من تلويث منبع ماء مدينتها. تصورا، يمكنك الاتصال بهذا الشخص، تخاطبه، تراسله إلكترونيا أو، وهو أفضل، أن تلتقيه. ما من شئ يضاهي التلاقي الشخصي لتيسير تقاسم المعلومة.

يمكن أن تقول في نفسك أن بإمكان ناشطيْن، إذا ما رغبا في الالتقاء وإقامة تبادل عميق وشخصي، أن يأملا فحسب في وجود طائرة بحيث يلتقيان ويناظران ما بين بنات أفكارهما. يمكن أن يكون ذلك صحيحا لو كانا من شمال أمريكا ومن أوروبا ولكنه ليس كذلك لأبناء الجنوب الكوني.

من الغريب المفاجئ في مثل زمن العولمة ومنابع المعلومات غير المحدودة هذا أن يتطلّب لقاء أناس من الجنوب الكوني لقاء حيا مثل هذا الوقت والمال والجهد المبذول في سيرورات بيروقراطية صارت عقبات غير قابلة للتجاوز. حتى إذا ما تمت تغطية نفقات سفرهم يحتاج أبناء الجنوب الكوني إلى تأشيرات للمرور من الشمال بما أن طرق الطيران تمر من أوروبا ومن الولايات المتحدة وكذا تأشيرات دخول كولومبيا، وبالنسبة لهم، يمكن للإشارة الإعلامية القائلة " الفيزا ضرورية" أن تعني "الدخول ممنوع".

بوصفنا باحثين في دجوستيسيا، وهي مجموعة تفكير تتخذ من بوغوتا في كولومبيا مقرا لها، تعلمنا هذا الدرس بطريقة قاسية. يسعى مشروعنا المسمّى "قيادة حقوق الإنسان العالمية" إلى افتتاح المزيد من فضاءات التبادل جنوب-جنوب وفيما أحرزنا بعض النجاح كانت جهودنا تحبط في بعض الأحيان

بقسوة سيرورات الحصول على الفيزا التي لا تراعي الوقت والمال والكلفة العاطفية التي تثيرها الشكليات والسفر وهدر ساعات في انتظار ترخيص للمساهمة في تبادل المعلومات الكوني. من الواضح أن الأمر إذا ما وصل إلى حد التبادل ما بين الاشخاص لا توجد منطقة وسط ما بين المبادلات شمال- شمال والمبادلات جنوب-جنوب.

أظهر لنا تبادل قضائي ناجح بين قضاة المحكمتين الدستوريتين الكينية والكولومبية صار في بوغوتا في فبراير-فيفري ٢٠١٣ مدى الإثراء الذي يمكن أن تكون عليه تجربة الجنوب-جونب. كان ذلك التبادل مثمرا لأن هذين البلدين الجنوبيين يتقاسمان تاريخين متماثلين للعنف والاضطراب الإثني والسياسي والفقر المستدام. لا يمكن لحقوقيين من الولايات المتحدة ومن كولومبيا أن يخوضا نفس المحادثة مثلا. على أنه يمكن لقاض أمريكي أن يستقل طائرة مباشرة من ميامي إلى بوغوتا وإذا ما حطت طائرته لنَقُلْ في بنما فإنه لا يحتاج إلى تأشيرة عبور. كان على القضاة الكينيين أن يسافروا هم أيضا عبر الاتحاد الأوروبي و أو الولايات المتحدة وكان عليهم أن يحوزوا على تأشيرات عبور في الحالتين.

منذ فترة أقرب، نظمت دوجستيسا ورشة أسبوعية لنشطاء شبان في حقوق الإنسان جنوبيين يشتغلون على الصناعات الاستخراجية لتستضيفهم في كولومبيا وتلاقيهم بعلماء اجتماع من أجل تجويد بحوثهم وتطوير مهاراتهم الاتصالية. على أثر سيرورة مكثفة وفائقة الانتقائية من تقديم طلبات الانتساب اختير ستون شخصا من أمريكا الجنوبية وأفريقيا وآسيا للمشاركة. ولكن قبل تمكنهم من الالتحاق بورشتنا كان عليهم أن يمروا من متاهات تأشير عديدة. كان لنا مشاركة من أوغندا احتاجت تأشيرة كولومبية وكان عليها أن تسافر عبر لندن بسبب عدم وجود سفارة كولومبية في أوغندا وكانت قد نجحت بعدُ في الحصول على تأشيرة للمملكة المتحدة. كان على مشاركنا من بابوا غينيا الجديدة أن يسافر إلى عاصمة بلاده حيث حصل على تأشيرة أسترالية بحيث أمكن له أن يسافر إلى سيدني ويقدم طلبا للحصول على تأشيرة إلى كولومبيا وكذا تأشيرة عبور للولايات الأمريكية وعندها سافر لأكثر من ٢٤ ساعة للوصول إلى كولومبيا من نيويورك. من الواضح أن الحكومات والخطوط الجوية لم تفهم جيدا أهمية التبادل جنوب-جنوب.

ما الذي يحدث عندما يفتقر الجنوب الكوني إلى الوقت والمال أو القدرات للإبحار عبر حقول التأشيرات وخطوط السفر الجوية الملغومة؟ ما نوع تقاسم المعلومات الذي تعوقه مثل هذه السيرورة الكونية؟ كلا الشمال والجنوب في حاجة إلى البدء بنقاش جدّي لهذه المسألة. يحتاج الشمال إلى البدء بالتخلص من تأشيرات العبور لتيسير تقاسم المعلومات، ويحتاج الجنوب إلى البدء في التفكير جماعيا في الكيفية التي يمكن بها أن نكسر هذه الحواجز القائمة بيننا وبين بقية العالم بحيث نسمح بتدفق حر للمعلومات والأشخاص. أول الخطوات هو الكف عن المطالبة بالتاشيرات بين بلدان الجنوب الكوني أو على الأقل إيجاد استثناء للنشطاء والباحثين. ما لم يكن ذلك فإننا نضيع كلنا هذه الفرص العظيمة التي تتوفر لنا للتعلم والتقاسم مع أناس من كل أنحاء العالم يمكن أن تكون لهم حلول لمشاكلنا الوطنية.

رويدا رويدا ولكن بثبات:
تطور علم الاجتماع في ألبانيا

بقلم ليكي سوكولي (Lekë Sokoli)، المعهد الألباني لعلم الاجتماع، تيرانا، ألبانيا، عضو لجنة البحث التابعة للج د ع اج في "علم الاجتماع المقارن" (ل ب ٢٠) وعلم اجتماع الهجرة (ل ب ٣١)

شهدت ألبانيا طوال العقدين الأخيرين تغيرات هامة ومتعددة المستويات. اقتصاديا انتقلنا من اقتصاد مفرط المركزة كانت فيه الدولة القوة الوحيدة والمشغل الوحيد إلى اقتصاد متحرر ولكنه فوضوي، وسياسيا انتقلنا من نظام استبدادي ستاليني إلى ديمقراطية إشكالية واجتماعيا انتقلنا من "التوزيع العادل للفقر" إلى أقصى التباينات الاجتماعية، أكثر قصووية من أي مكان آخر في أوروبا الشرقية.صارت ألبانيا مخبرا لدراسة التغير السريع والمشاكل الاجتماعية وكذا الهجرة الدولية التي جربتها نصف الساكنة (٣٥ بالمائة بصفة دائمة، و ١٥ بالمائة بصفة مؤقتة) في ما لا يتجاوز العقدين.

تغيرات ألبانيا ما بعد الشيوعية جلبت كذلك معها في موجتها الأولى علم الاجتماع. لقد كانت هناك على الدوام تقاليد في علم الاجتماع في أغلب بلدان أوروبا الشرقية حتى في ظل حكمها الشيوعي الأكثر قسوة. على أن علم الاجتماع كان ممنوعا من المسارات التعليمية الجامعية في ألبانيا. لم يوجد أبدا قسم لعلم الاجتماع في جامعة تيرانا ولا معهد واحد لعلم الاجتماع ضمن ما يناهز الأربعين معهدا المكونة لآكاديمية العلوم الألبانية. كانت الماركسية اللينينية الحقيقة القصوى فيما كان حزب العمل (الشيوعي) عصيا على أي نوع من أنواع النقد، ولم يكن يعتمد الدلائل الميدانية عند تدبر المشاكل الاجتماعية.

كانت مدارس الفكر التقليدية بما في ذلك الوجودية وعلم النفس الفرويدي والبنيوية والظواهرية ممنوعة كلها وكذا أعمال أفلاطون وأرسطو وهيجل ودوستويفسكي وسارتر إلخ... ولم يكن فيبر ودروكايم وزيمل وباريتو وبارسونز ومورتن ومفكرين اجتماعيين غربيين مشهورين آخرين يعنون لنا شيئا.

كان الصراع ضد علم الاجتماع يعتبر كذلك جزءا مما يسمى الصراع الطبقي مثلما يمكن أن يشهد بذلك *تيارات الفكر السياسي والاجتماعي في ألبانيا* (*Currents of Political and Social Thought in Albania*) ذاك الكتاب "ذائع الصيت" الذي نشر في البانيا سنة ١٩٨٥ من قبل آكاديمية العلوم الألبانية أربع سنوات فحسب قبل انهيار جدار برلين. فيه يعرّف عالم الاجتماع الفرنسي أوغست كونت بوصفه أول مبتدعي علم الاجتماع البرجوازي. علم اجتماعه الوضعي كان ردة فعل ضد الماركسية ومحاولة للمواءمة بين البرجوازية والبروليتاريا وتعطيلا للحرب الطبقية التي كان أوارها يشتد... في هذا الكتاب وفي كتب أخرى من جيله اعتبر علم الاجتماع برجوازيا ورجعيا عنصريا ومعاديا للإنسانية وعلما إمبرياليا. وإلى حدود ١٩٩٠ كان كل علماء اجتماع العالم يُعْتَبَرون خطرين وكانت أية مدرسة من مدارس الفكر الاجتماعي ممنوعة باستثناء "النسخة الألبانية " المحلية من الشيوعية.

لم يتم القبول إلا ب"درس جديد" واحد في علم الاجتماع بعد موت أنور خوجة الدكتاتور الألباني سنة ١٩٨٦. أشار القائد الألباني الجديد رفعت آليا في خطابه إلى المؤتمر التاسع للحزب الشيوعي الألباني المعروف بمؤتمر "المواصلة" إلى علم الاجتماع من بين علوم اجتماعية أخرى للمرة الأولى في وثيقة رسمية قائلا: " لا يتوجب أن تمنع أولوية العلوم التقنية والطبيعية دور العلوم الاقتصادية والفلسفية والسوسيولوجية والقانونية والتربوية، أي العلوم الاجتماعية، عند تدبر معظم المشاكل الحالية للبناء الاشتراكي والحرب الإيديولوجية".

افتتح الطريق الرسمي نحو تطور علم الاجتماع إذا ولكن تحت بعض الشروط: (١) الاقتصار على الإحالة على التجربة الألبانية الأصيلة، (٢) أن يكون علم اجتماع مناضلا مرتبطا ببناء الاشتراكية وبالحرب الإيديولوجية، (٣) أن يكون علما ماركسيا لينينيا لا يرتكز إلا على النصوص الماركسية اللينينية

من كل ما سبق يتضح أن ليس بإمكان علم الاجتماع أن يتطور إلا بالتوازي مع العديد من المصاعب، وفي ما بعد الشيوعية فحسب. كانت أولى خطوات إضفاء الصبغة المؤسسية على علم الاجتماع بعث الجمعية الألبانية لعلم الاجتماع (ج ا ع اج) عشية "التحول الكبير" في نوفمبر ١٩٩٠. لكن هذه الجمعية سرعان ما انهارت أولا لأن باعثيها كانوا خليطا من الفلاسفة والديمغرافيين والمحامين والمؤرخين وعلماء الفيزياء والروائيين والعلماء الطبيعيين والصحفيين والفنانين وحتى المهندسين المعماريين. وفشلت الجمعية ثانيا بسبب التدخلات السياسية الخارجية.

صاحبت المحاولة الثانية لإضفاء الصبغة المؤسسية على علم الاجتماع في ألبانيا تأسيس كلية منفصلة للفلسفة وعلم الاجتماع ضمن جامعة تيرانا في سبتمبر ١٩٩١. ولكن وفي غضون عام أوقف عمل الكلية بأمر ملح من الحكومة الديمقراطية الأولى التي ارتقت إلى السلطة على أثر انتخابات مارس ١٩٩٢ وهو ما عكس بوضوح الطبيعة "الديموقراطية" لمعارضتها لعلم الاجتماع.

سنة ١٩٩٨، أسس اثنان من أوائل علماء الاجتماع الألبان (أنا وتاريفا)، فيما كنا في الولايات المتحدة، أول مجلة دولية لعلماء الاجتماع الألبان بعنوان *تحاليل سوسيولوجية Sociological Analysis*. كانت تلك فترة حرجة للغاية في تاريخ ألبانيا الحديث متسمة بالتقلقل الاجتماعي و الاضطراب السياسي والانهيار الاقتصادي، زمن تمزق كامل للنسيج الاجتماعي. بعد صعود وهبوط متكررين ومرورا بالكثير من المصاعب تأسست الجمعية السوسيولوجية لألبانيا في نوفمبر ٢٠٠٦ مترافقة مع التسمية الجديدة للمعهد الألباني لعلم الاجتماع (م أ ع اج). ومنذ السادس عشر من أفريل ٢٠٠٧ صار م أ ع اج عضوا جماعيا قارا في ج د ع اج ومنذ ١٠ أكتوبر ٢٠٠٨ عضوا في الجمعية الأوروبية لعلم الاجتماع. ببادرة من م أ ع اج وبدعم من ج د ع اج تكون المنتدى السوسيولوجي البلقاني في تيرانا في نوفمبر ٢٠١١.

بتأسيس المعهد الألباني لعلم الاجتماع بدأ علم الاجتماع في الإقلاع إذ تأسس أول قسم لعلم الاجتماع ثم تبعته أقسام أخرى. وتجيز الآن العديد من الجامعات الألبانية خريجي علم الاجتماع في مستوى الإجازة والماجستير وحتى في مستوى الدكتورا. كما أدرجت الحكومة الألبانية علم الاجتماع ضمن القائمة الوطنية للمهن، ويدرس علم الاجتماع في كل المعاهد العليا والجامعات وفي عدد معتبر من مجموعات التفكير تعتمد البحوث السوسيولوجية.

منذ اجتماعه الأول نما المعهد الالباني لعلم الاجتماع من ٣٥ عضوا مؤسسا إلى ٧ أو ٨ أضعاف كما نمت المشاركات في مؤتمراتنا من اثني عشر بحثا مشاركا في المؤتمر الأول سنة ٢٠٠٧ إلى ٤١٠ ورقة مشاركة قدمها ٥٧٨ من المؤلفين والمؤلفين المشاركين أتوا من ٢٢ بلدا مختلفا ليشاركوا في المؤتمر السابع في فلورا سنة ٢٠١٢. نحن نمتلك الآن بيبليوغرافيا متزايدة الاتساع من الأعمال السوسيولوجية حول ألبانيا وكذا العديد من المجلات: "دراسات سوسيولوجية"، "تحاليل سويولوجية"، "عدسات سوسيولوجية"

(*Social Studies*, *Sociological Analysis*, and *Sociological Lens*.)

كان ذلك "انتقالا سوسيولوجيا" ناجحا فيما نواجه الآن تحديات جديدة وهي تأسيس جمعية سوسيولوجية ألبانية ديمقراطية حقيقية، ومواصلة تنظيم المؤتمرات والمنتديات السنوية وتوسيع التعاون مع "علماء الاجتماع من دون حدود"، والزيادة التدريجية في أثر علم الاجتماع في المجتمع الألباني وفي المجتمعات البلقانية. واضح أن لنا دورا كبيرا نضطلع به في التحديات التي يواجهها بلدنا الصغير العظيم.

أزمنة الاضطراب: ندوة الجمعيات الوطنية التابعةج د ع اج الثالثة

بقلم عائشة إيديل آيبارس، جامعة الشرق الأوسط التقنية، تركيا

انتظمت الندوة الثالثة لمجلس الجمعيات الوطنية التابعة للج د ع اج في جامعة الشرق الأوسط التقنية (ج ش أ ت) في أنقرة ايام ١٢ غلى ١٧ ماي ٢٠١٣. كانت الندوة من تنظيم مشترك بين قسم علم الاجتماع بج ش أ ت والجمعية التركية للعلوم الاجتماعية وجمعية علم الاجتماع التركية. كان موضوع الندوة " علم الاجتماع في أزمنة الاضطراب: مقاربات مقارنة" وكان المشاركون ممثلين عن الجمعيات الوطنية لعلم الاجتماع أتوا من مختلف أرجاء العالم.

بوصفي منسقة لجنة التنظيم المحلية تملكني الفخر باستضافة اجتماع مهم للجمعية للمرة الأولى في أنقرة. يمكنني القول بصدق أن تنظيم الندوة أثبت لي أنها تجربة مثيرة وكثيرة الدروس دامت أكثر من سنة وأوجبت تعاونا مثمرا مع أعضاء ج د ع اج الحكماء والمميزين وكذا تشبيكا رَبَطَنَا بما لا يعدّ من الخبراء والإداريين وممثلي الجمعيات المانحة وزملاء رائعين من تركيا ومن الخارج. ليس من حاجة للقول إننا بذلنا نحن كذلك قصارى الجهد للتأكد من أن كل واحد توفرت له الفرصة للإطّلاع على خصوصيات الثقافة والتاريخ والطعام والموسيقى والرقص (وقد شاركنا فيه كلنا بالطبع) في تركيا من منظور علمي اجتماعي.

جاء موضوع الندوة مواتيا تماما لتوقيته مثلما أكدته الأحداث التركية التي أعقبت انعقاد الندوة. هنا في تركيا انقدح زناد "الاضطراب" من خلال تصميم الشباب على حماية الأشجار في حديقة وسط إسطنبول. استحال الأمر إلى احتجاج على مستوى الوطن ضد محاولات الحكومة الحالية هندسة أنماط حياة الناس وهو التصادم الذي جعلنا نحن علماء الاجتماع والعلماء الاجتماعيون الأتراك عامة مشغولين إلى أقصى مدى بتصور آثار الأحداث في المجتمع وفي المشاركة السياسية والاجتماعية وفي مستقبل الديمقراطية والحريات الأساسية وفي دور الإعلام في المجتمع وهكذا دواليك (تراجع مقالات زينب بايكال ونزيهة باشاك إيرجين وبولات ألبمان في هذا العدد).

مكنتنا الندوة لحسن حظنا من تحاليل علمية اجتماعية لتجربة من قبيل حركة "احتلوا وول ستريت" في الولايات المتحدة وهي التي جسدت الكيفية التي يمكن بها لعلماء الاجتماع أن يعمقوا فهم مثل هذه الاحتجاجات ووقعها في الميادين الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية. جمع برنامج الندوة التجارب الفريدة لعلماء اجتماع من كل القارات على وقع التغيرات والأزمات الكونية التي طبعت العقدين أو العقود الثلاثة الاخيرة. كان ذلك تمرينا غني الدروس وحاملا لتحدي الاضطلاع بدروس مقارنة من التغيرات التي مست بدرجات مختلفة الدوائر الاقتصادية والسياسية للبلدان فرادى بما يستوجب مقاربات تجديدية تكسب معنى للمشهد الاجتماعي الجديد.

بينت الندوة مرة أخرى الكيفية التي يمكن بها لعلم الاجتماع الذي نشأ هو ذاته عن الاضطراب الاجتماعي لقرنين خليا، ذاك الاضطراب الذي غير العالم إلى الأبد من خلال تعبيد الطريق لما يسمى "المجتمع الحديث" أن يستمر في الإجابة على تحديات اجتماعية ومجتمعية واسعة التنوع. وقد بينت أوراق علماء اجتماع مميزين من سياقات مختلفة أن وضع علم الاجتماع النقدي والإبداعي اليوم وضعية ممتازة لتحصيل دروس من مثل أزمنة الاضطراب هذه.

باسم لجنة التنظيم المحلية، أعبر عن امتناني لكل المشاركين لمساهماتهم الأكاديمية العالية وللجنة التنفيذية للج د ع اج لدعمها وتوجيهها الذين ساعدانا على تأمين تنظيم سلس للندوة.

آكاديميون كبار وآخرون شبان يلتقون في يوكوهاما

بقلم ماري شيبا (Mari Shiba)، جامعة نغويا وعضو لجنة البحث في ج د ع اج في علم اجتماع الهجرة، كيوكو توميناغا (Kyoko Tominaga)، جامعة طوكيو، كيسوكو موري (Keisuke Mori) جامعة هيتوسوباشي، نوري فوكويي، جامعة كيوشو

وضع الأساتذة كويشي هازيغوا (Koichi Hasegawa) وشوجيرو يازاوا(Shujiro Yazawa) ويشيميشي ساتو(Yoshimichi Sato) وساواكا شيريهازي (Sawaka Shirihase)، الأعضاء المهمين في لجنة التنظيم المحلية لمؤتمر علم الاجتماع العالمي القادم في يوكوهاما (١٣-١٩ جويلية) برنامجا جذابا لندوة ما قبل المؤتمر، عاما قبل الموعد بالضبط. تتمثل الفكرة في دعوة علماء اجتماع قياديين من أرجاء العالم، مارغرت ابراهام (Margaret Abraham) من الولايات المتحدة، وإيما بوريو (Emma Porio) من الفيليبين وهان شانغ جين (Han Sang-Jin) من كوريا الجنوبية إلى حوار مع علماء اجتماع شبان يابانيين. إليكم ما قاله هؤلاء:

ماري شيبا: قدمت ورقة حول *"الاحترام المتبادل والمسؤولية والحوار مع الآخر في الولايات المتحدة: حالة دراسية لماضي وحاضر ومستقبل أطفال متبنين في غير بلدهم"*. اثار عرضي مسألة الجوهرانية الثقافية في ظل سياسات ثقافية تعددية. أنا مهتمة بالخصوص بدور "الوسطاء" بين الجماعات الأغلبية والجماعات الأقلية الذين يكون بمقدورهم بناء ما نعتبره علاقات ودية تتجاوز مجرد التعايش الثقافي المتعدد. بصفتي خريجا حضر المؤتمر السابق الذي انعقد في غوتنبرغ وشارك في المنتدى الثاني في بيونس آيروس أقول بأن هذه التجارب أكسبتني شبكة جديدة تماما من العلاقات مع أصدقاء وزملاء وعليه فأنا أشجع علماء الاجتماع الشبان أينما كانوا على الحضور إلى يوكوهاما الجميلة في العام القادم لمقاسمة بحوثهم والتخطيط لطريق مشترك نحو مستقبل أكثر إشراقا للعالم.

كيوكو توميناغا: قدمت ورقة بعنوان *" كيف يشابك الناشطون ما بين الروابط الضعيفة؟ ما مدلولهم للجماعة؟ الاحتجاج على اجتماع مجموعة الثمانية بوصفه فرصة لبناء الشبكات ما بين النشطين".* أنا أحلل حركات العدالة الكونية وحركات مناهضة العولمة في اليابان. مثل هذه الحركات موجودة في بلدان مختلفة ولكن بتكتيكات ومضامين وأنماط تنظيمية مختلفة تجعل منها لا حركات كونية فحسب بل وكذلك وطنية ومحلية. ساعدتني مناقشات الندوة على أن أمسك بوضوح أكبر نقاط قوة وضعف النسخة اليابانية من حركات العدالة الكونية وكذا حدود الإطار البحثي الذي بنيته لعملي.

كايسوكي موري: أنا سعيدة لتوفر فرصة تقديم عملي حول *" الارتباط بمشروع العالم الثالث: جينيالوجيا حركة مناهضة لبناء قاعدة عسكرية في جزيرة أوكيناوا من منظور عالمي شامل".* أنا أحاول أن أربط بين تاريخ أوكيناوا ما بعد الحرب العالمية الثانية وحكايا الناس عن تاريخ العالم عبر تفحص المعارك المشتركة ضد القواعد العسكرية. ساعدني حضور ضيوف مميزين ذوي خلفيات مختلفة على تحيين دراستي في منظور كوني.

نوري فوكيي: قدمت بحثي الذي تناول *"الذاكرة والتمثل في المجتمع الإيرلندي الشمالي ما بعد النزاع".* يركز بحثي على جداريات إيرلندا الشمالية التي تظهر الكيفية التي تعبر بها جماعات الجوار الحضرية عن العدائية والتعاطف نحو بعضهم البعض. ولن كنت درست إيرلندا الشمالية فإني اكتشفت أن لي خلفية مشتركة مع آكاديميين آخرين ساعدوني على تطبيق أفكاري على السياق الآسيوي. هذا ما أتمنى أن يكون في مؤتمر يوكوهاما.

نود أن نختم بهذه الكلمات القليلة التي جرت على قلم مارغرت أبراهام نائبة رئيس ج د ع اج للبحوث. كتبت ما يلي:" انبهر الضيوف بهذا الطيف من المواضيع التي عرضها علماء الاجتماع الشبان وبمدى اتساع وعيهم الكوني. سعدت كذلك لرؤية الكيفية التي بها وسعت بها اللجنة التنظيمية المحلية مبادرة ج د ع اج بتنظيم الحوارات بين كبار الآكاديميين والشبان التي كانت أقيمت في منتدى بيونس آيروس سنة ٢٠١٢. أقول إن يوكاهاما مكان جميل حقا وأن كل واحد فيها كان ينصرف إلى حياته بطريقة اعتيادية وأن الترحاب المضياف والأطعمة والسوشي كانت فعلا مميزة. سيكون من المثير قدوم آلاف من علماء الاجتماع من كل أرجاء العالم إلى يوكوهاما في السنة المقبلة للمشاركة في مؤتمر ج د ع اج الثامن عشر".

فريق حوار كوني الإسباني، المستقر في جامعة روزاريو في بوغوتا، كولومبيا

ماريا خوسي ألفارث ريفادولا (María José Álvarez Rivadulla)، عضو لجنة البحث في التنمية الإقليمية والمحلية التابعة لج د ع اج(ل ب ٢١)ماخو

أستاذة مشارك في علم الاجتماع في جامعة روزاريو في كولومبيا. أصلها من مونتفيديو في الأوروغواي وقد حصلت على درجة الدكتوراه من جامعة بتسبرغ وعاشت في كولومبيا خلال الخمس سنوات الماضية. تهتم بحالات اللامساواة الحضرية بالتركيز على الامتيازات وكذا على التهميش وتشكلاتهما في الفضاء.درست على وجه أخص انتصابات السكن الاحتلالي وتنظيمها وشبكاتها الزبونية في مونيفيدو. كتبت كذلك حول جماعات المغادرة والتمييز السكني وتجميل أحياء الأكواخ من خلال المشاريع الضخمة مثل مشروع سيارات الكابل الخيالي. هي الآن بصدد العمل على مشروع جديد للمقارنة بين اللامساواة الذاتية في بلدان أمريكية لاتينية مختلفة. انخرطت في النسخة الإسبانية من حوار منذ أن حل مايكل بورواي لأول مرة بكولومبيا سنة ٢٠١١ وأقنعها بذلك. تتندر بما قال لها " لا يمكنك أن تقولي لا لمايكل".

أندريس كاسترو آروخو

يدرس أنريس حاليا علم الاجتماع في جامعة روزاريو. له اهتمامات أوسع بعلم الاجتماع الاقتصادي (بدقة أكبر: العمل والتنظيمات والمهن) وعلم اجتماع الثقافة وخاصة دور معرفة الخبراء في المجتمع. بحوثه الحالية تركز على تقاطع الأسواق والطبقات والمقولات الأخلاقية. هو أيضا كان من بين أعضاء فريق الترجمة الإسبانية لحوار كوني منذ أن عاد إلى كولومبيا سنة ٢٠١١.

كاترين غايتان سانتاماريا

تخرجت كاتي منذ فترة وجيزة في اختصاص علم الاجتماع من جامعة بوغوتا في كولومبيا. مواضيع بحثها الرئيسة هي الحركات الاجتماعية والجندر وتقاطعاتهما مع الطبقات والإثنية. هي حاليا عضو في مجموعة في بوغوتا تطوّر التجند الاجتماعي والنشاط الشبابي دفاعا عنهم ضد عنف الحكم المحلي الاعتباطي وخاصة في صفوف الجماعات الأكثر فقرا. هي منخرطة كذلك في مشروع تدخل اجتماعي بمعية مؤسسة كونراد إيديناور في كاثاكا سواتشا وهي بلدية فقيرة جدا قرب بوغوتا لمواجهة واحد من أعوص المشاكل الاجتماعية. هي تعتزم أن تواصل الدراسات ما بعد الإجازة (بدأت بعد في التحضير لماجستير متعدد الاختصاصات في الدراسات الاجتماعية في جامعة روزاريو) وهي تواصل العمل في التدخل الاجتماعي في كولومبيا.

سيباستان فيلاميثار سانتاماريا

تخرج سيباستيان من جامعة روزاريو سنة ٢٠١١ بشهادة في علم الاجتماع. اهتماماته البحثية ترتبط بالتفاعل بين الطبقات والاستهلاك والفضاءات الحضرية التي قادته لإنجاز مذكرة ماجستير في الجغرافيا بجامعة الأنديز حيث يدرس التمييز السكني في بوغوتا. بالتوازي مع مذكرة الماجستير يعمل مدرسا مساعدا في جامعة روزاريو مع ماريا خوسي وهو كذلك باحث مساعد في دجوستيسيا مجموعة البحث والتفكير حول حقوق الإنسان المستقرة في بوغوتا. انضم إلى فريق ترجمة حوار كوني الإسباني منذ أن عاد إلى كولومبيا ثانية سنة ٢٠١١.